المبادئ العلمية
والأصول الإيمانية

التي لا يسع طالبَ العلم جهلُها
في (العقيدة)

بقلم

أبي عبد الرحمن محمد بن يوسف خشان

المبادئ العلمية
والأصول الإيمانية
التي لا يسع طالبَ العلم جهلُها
في (العقيدة)

-الطبعة الأولى-

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

وبعد:

فهذه مبادئ عقدية مهمة،وأصول إيمانية عالية لا يستغني طالب العلم عنها، جمعتها،ورتبتها، وهذبتها كي تكون مناسبة للمبتدئين، وهي كالأساس لما بعدها، أسأل الله أن ينفع بها .

□ الباعث علىٰ التأليف:

والباعث علىٰ جمع هذه المادة أنه أُسند إليَّ في مركز الإمام الألباني -أَعلَا اللهُ مَنارَهُ- تدريس مادة العقيدة، فرأيت الحاجة ملحة إلىٰ جمع مادة علمية مختصرة في الباب تكون تمهيدًا وتوطئة لما بعدها، تعطي الطالب منهجًا صحيحًا، وتصورًا صادقًا عن قوة منهج السلف في العقيدة؛ حتىٰ يتمكن الطالب بعدها من دراسة هذا العلم بالتفصيل، وقد استقرّت في قلبه الأصول المنهجية، والحقائق الإيمانية .

ولستُ أزعم أن هذه المادة قد أتت علىٰ الغاية؛ إنما هي مفاتيح كشأن سائر المُختصَرَات العلمية مع شيء من التفصيل في بعض المواطن يقتضيه المقام.

فاللهَ اسألُ أن ينفع بها، وأن لا يحرمني أجرها وبركتها.



العَقيدة: تَعريفُها - أُصولُها - عَلاقَتُها بغيرِها

❐ تَعريف العَقيدة:

مادة (عَقَدَ) في اللغة مدارها علىٰ اللزوم والتأكد والجزم، يقال : عقد الحبل إذا شد بعضه ببعض، وقال الله - جل وعلا- : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[المائدة:٨٩]؛ أي : أكدتم الأيمان وجزمتم بها.

والعقود هي أوثق العهود، ومنه قوله -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة:١].

* **والعقيدة -في الاصطلاح الشرعي-؛** هي: التصديق الجازم بما يجب لله -عز وجل- من الوحدانية في ألوهيته وربوبيته وأسماءه وصفاته[1]، وبكل ما يجب الإيمان به؛ كمسائل النبوات، والمعاد -وغيرها-.

وأصول العقيدة؛ هي: ما جاء في حديث جبريل -الذي رواه مسلم[2]- حينما سأل النبيَّ ﷺ عن أركان الإيمان؛ فقال: «**الإيمانُ: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله -تعالىٰ-**».

❐ صلة العقيدة بالشريعة:

والعقيدة يقابلها الشريعة، وهي الشرائع والاحكام العملية كالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الاحكام العملية.

---

(١) انظر «المفيد في مهمات التوحيد» (ص١١) د.عبد القادر صوفي.

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ١٠١- نووي) برقم (٩٣).

فالإيمان أصلان:

١- عقيدة صحيحة، نقية، راسخة، محلها: القلب **-وهي الأصل-**.

٢- وعمل يظهر علىٰ الجوارح **-وهو الفرع**[١]-.

فإذا ذهب أحد هذين الأصلين؛ فإنّ الإيمان يزول أو يختل.

والعقيدة إذا استقرَّت في القلب كانت العبادة أثبت وأدوم، كما أن العبادة كلما صحَّت وقويت وأداها العبد علىٰ أكمل الأحوال -إخلاصًا ومحبة وإقبالًا علىٰ الله-؛ كان هذا مرسخًا لما قام في القلب من اعتقاد.

فالفرع يستمد من أصله، والأصل يقوىٰ بفرعه، فمثلُ الإيمان ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ -مزهر مثمر-، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

فالإيمان هو الشجرة، وجذورها العقيدة التي استقرت في قلب صاحبها، والساق والفروع والثمار هي العمل.

فإذا ما فسدت الجذور ويبست؛ فسدت الشجرة، وتلف ثمرها، وجفت أغصانها، وأما إذا قُطعت الفروع والأغصان -أو بعضها-؛ فإن الشجرة تضعف، وتهزل وقد تموت بالكلية، فوجود الفرع والأوراق ضروري لحياة الشجرة، كما أنّ الشجرة لا تستغني ولا تحيا ولا تثمر من غير جذورها، فكذلك حال العقيدة والعمل[٢].

---

(١) انظُر «الفَتاوَىٰ» (١٠/ ٣٥٥).

(٢) انظر « العقيدة في الله» (ص١٧-١٨) د. عمر الأشقر-رحمه الله تعالىٰ- .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لكن القلب هو الأصل، والبدن فرع له، والفرع يستمد من الأصل، والأصل يثبت ويَقْوَىٰ بفرعه؛ كالشجرة كلما قَوِيَ أصلها ورُوي قويت فروعها، وفروعها أيضًا إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها»[١].

❑ بعض التسميات التي أطلقت علىٰ العقيدة الإسلامية :

درج العلماء علىٰ إطلاق أسماء متعددة علىٰ علم العقيدة ومنها : التوحيد ، الإيمان ، السنة ، الصفات ، أصول الدين ، الشريعة ، الفقه الأكبر، وجميع هذه الأَسماء أطلقها أهل السنة علىٰ ما صنفوه من كتب في أبواب ومسائل العقيدة[٢]، وهي تعبر تعبيرًا صحيحًا وصادقًا عن المحتوىٰ الذي استُعمِلَتْ للدلالة عليه.

❑ الفَرق بين العقيدة والتوحيد:

والعقيدة؛ هي: التصديق الجازم بما يجب الإيمان به من مسائل الربوبية، والألوهية، والأسماء، والصفات، والنبوات، والمعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به.

والتوحيد؛ هو: افراد الله -تعالىٰ- بما اختص به نفسه في ألوهيته، وربوبيته وأسمائه، وصفاته.

فالعقيدة أعم من التوحيد؛ حيث يدخل فيها التوحيد وزيادة، فيدخل في العقيدة مباحث: الرسل، والرسالات، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر، والقدر، ومسائل الصحابة، والفِرق الضالة.

---

(١) «الفتاوىٰ» (٧/ ٥٤١).

(٢) «المفيد في مهمات التوحيد» (ص ١٢– ٢٣).

وفي الجملة: التوحيد يتعلق بالايمان بالله.

والعقيدة تتعلق بأركان الإيمان جميعًا -أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه..-الخ-.

وتسمية العقيدة بالتوحيد هي من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائِه؛ فالتوحيد أشرف مباحث العقيدة؛ لأنه متعلق بخالص حق الله وأعظم حقوقه[١].

❐ عِلم الكلام وعِلم العقيدة[٢]:

والكلامُ؛ هُو: عِلمٌ - عند أصحابِه - يُقتدر من خلاله علىٰ إثبات العقائد الدينية بإيراد الحُجج ودَفع الشُّبه[٣]. كما يطلقه أربابُه علىٰ العقيدة نفسها.

وإطلاق علم الكلام علىٰ العقيدة إطلاقٌ باطِل؛ فهو لا يعبر عن المعنىٰ الصادق والصحيح فيما استُعْمِلَ للدلالة عليه؛ لذا منع العلماء من إطلاقه علىٰ علم العقيدة.

وسُمِّي علم الكلام بهذا الاسم؛ لأن صنعة أصحابه الكلام والجدل. وقيل: سمي بذلك؛ لأن أكثر مسائله التي جرىٰ عليها الخلاف هي صفة الكلام لله -تعالىٰ-[٤]. وأيًّا ما يكن فهو لا يُعبِّر عن المعنىٰ الصحيح للعقيدة.

---

(١) «المفيد في مهمات التوحيد» (ص١٥).

(٢) وهناك إطلاقات خاطئة أيضًا علىٰ العقيدة سوىٰ «علم الكلام»؛ منها : الفلسفة، والتصوف، والفكر الإسلامي، والقيم . انظر «مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة» (ص١٩-٢٠) ناصر العقل.

(٣) «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (١/ ٣١).

(٤) واعترض شيخ الإسلام علىٰ هذا بأن التسمية بعلم الكلام إنما اشتهرت قبل ظهور مسألة =

وهنا يجب التنبيه علىٰ أنَّ مُستَنَدَ علم الكلام إنما هو العقل والمستَنِدِ أساسًا علىٰ المنطق، ولأجل ذلك فإن أربابه يَرُدُّون كثيرًا من نصوص السنة -كأخبار الآحاد- بحجة أنها ظنية، ويسمونها (ظواهر)؛ لأنها لا تدل بالقطع علىٰ المعنىٰ المُراد، وهذا بخلاف الأدلة العقلية والتي يسمونها (قواطع)؛ لدلالتها النصية والصريحة - عندهم- علىٰ المعنىٰ.

والتحقيق أن هذا العلم -بِمدارسِه المختلفة- كان سببًا في نشر كثير من الانحرافات العقدية كنفي كثير من أسماء الله وصفاته؛ كنفي العلو الذاتي، وكالقول بخلق القرآن، وغيرها من الانحرافات المخالفة للكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، ما حدا بعلماء السلف والأئمة إلىٰ ذم علم الكلام والتحذير منه ومن أهله.

ومن ذلك قول الإمام الشافعي: «والله لأن يبتلىٰ المرء بكل ما نهىٰ الله عنه ما عدا الشرك به خير له من النظر في الكلام»[1].

ويقول - رَحِمَهُ اللَّهُ- : «ما تردىٰ أحد بالكلام فأفلح»[2].

ويقول الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا تجالس صاحب كلام وإنْ ذبَّ عن السُّنَّة؛

=

الكلام، انظر «الفتاوىٰ» (٣/ ١٨٤). و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» (ص٤٢-٤٣).

(١) «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢١٨) برقم (٦٦١)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٣٩) برقم (٣٠٠)، و«الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٠٤- وما بعدها).

(٢) «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢١٨) برقم (٦٦٤)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٣٩) برقم (٣٠٣)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٨).

فإنه لا يؤول أمرُه إلىٰ خير»[١].

وكان من المفترض بأصحاب العقول، وأرباب الكلام أن لا يختلفوا ولا يتنازعوا؛ لأن علم الكلام يقوم علىٰ علم المنطق أساسًا الذي يعصم الذهن من الزلل في المسائل والقضايا، ومع ذلك نراهم من أكثر الناس اختلافًا.

وفي هذا يقول ابن قتيبة- رَحِمَهُ اللَّهُ- : «وقد كان يجبُ -مع ما يدّعُونهُ من معرفة القياس وإعداد آلات النّظر- أن لا يختلفُوا كما لا يختلفُ الحُسّاب والمُسّاح، والمُهندسُون، لأنّ آلتهُم لا تدُلُّ إلّا علىٰ عددٍ واحدٍ، وإلّا علىٰ شكلٍ واحدٍ، وكما لا يختلفُ حُذّاقُ الأطبّاء في الماء وفي نبض العُرُوق؛ لأنّ الأوائل قد وقّفُوهُم من ذلك علىٰ أمرٍ واحدٍ فما بالُهُم أكثرُ النّاس اختلافًا، لا يجتمعُ اثنان من رُؤسائهم علىٰ أمرٍ واحدٍ في الدّين»[٢].

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام هو أن السلف لم يطعنوا في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدعيه البعض أنها عقليات ويردون من أجلها ما صح من النقليات ،فيعارضون خبر المعصوم بما قام في العقل من وهم وظنون، فضلًا عما تتضمنه تلك الأدلة العقلية المزعومة من تناقضات، وما تؤدي إليه من منازعات[٣].

---

(١) «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢٢٢) برقم (٦٧٩)، وذكره ابن أبي يعلىٰ في ترجمة موسىٰ بن هارون الحمال في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٨) رقم (٤٨١)، وانظر «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٢/ ٤٠١).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص٧٨).

(٣) انظر «مختصر الصواعق» (١/ ٢٣٦).

يقول شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ - : والسّلفُ لم يذُمُّوا جنس الكلام. فإنّ كُلّ آدميٍّ يتكلّمُ ولا ذمُّوا الاستدلال والنّظر والجدل الّذي أمر اللّهُ به رسُولهُ والاستدلال بما بيّنهُ اللّهُ ورسُولُهُ بل ولا ذمُّوا كلامًا هُو حقٌّ؛ بل ذمُّوا الكلام الباطل وهُو المُخالفُ للكتاب والسُّنّة وهُو المُخالفُ للعقل أيضًا وهُو الباطلُ، فالكلامُ الّذي ذمّهُ السّلفُ هُو الكلامُ الباطلُ وهُو المُخالفُ للشّرع والعقل[1].

❐ عِلم الكلام وعِلم المنطق:

وعلم الكلام-عند أصحابه- له إطلاقان إطلاق عام بمعنىٰ العقيدة،وإطلاق خاص بمعنىٰ اثبات العقائد الدينية بطرق عقلية جدلية يسمونها قواطع عقلية،وهذه القواطع العقلية،والقواعد الكلامية تستمد مادتها الجدلية من علم المنطق،فالكلام والجدل مُستَمَدٌّ من علم المنطق[2].

ثم إن الذي عليه جماعة من أهل النظر أن المنطق السليم الذي خَلَّصَهُ علماء الإسلام مما يخالف معتقادتهم حُكْم تَعلُّمِه الجواز لمن تأهل لذلك،[3] بل

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٣/ ١٤٧)، وانظر «درء التعارض» (١/ ٢٣٢). وفي هذا رد من شيخ الإسلام علىٰ من ظن -أو زعم- أن ذم أئمة السلف للكلام إنما هو فقط لمجرد الاصطلاحات المحدثة. وانظر كتاب «ضوابط استعمال المصطلحات الفكرية والعقدية عند أهل السنة والجماعة» (ص٣٤٧-٣٤٨)، وكتاب «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» (ص٤٢-٧٤)، وفي الكتابين فوائد مهمة .

(٢) انظر « إتحاف المحقق بمواقف الإسلاميين من علم المنطق» (ص١٥) د. فخر الدين المحسي.

(٣) جاء في «السلم المنورق» للأخضري (ص١٥):

والخلف في جواز الاشتغال فيه علىٰ ثلاثة أقوال

=

الوجوب على مَن تَصدَّرَ كرسي الدفاع عن الإسلام، والأَخِيرُ هو ما قرَّرَهُ ونَصَرَهُ العلامة الشنقيطي - صاحب «الأضواء» - رَحِمَهُ اللَّهُ -[1].

ولو اعتبرنا المنطق مجرد مصطلحات وقوانين تضبط الاستدلال وتعصم الذهن من الزلل؛ فإنه يُمكن الاستفادة منه في رد تناقضات الفلاسفة وأهل البدع الذين استخدموا هذه العلوم سلاحًا في ضرب أعناق الشريعة، فلا مانع من تعلمه بهذا الاعتبار كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - بقوله : «فمن كان عارفًا بحَلِّ شبهاتهم بيَّنها، ومن لم يكن عارفًا بذلك فليعرض عن كلامهم، ولا يقبل إلا ما جاء في الكتاب والسُّنَّة»[2].

وأما اعتباره عِلمًا لا يُستغنى عنه ، وأنه يزيد في فَهْم الكتاب والسُّنَّة، ويهدي إلى الصواب؛ فهذا قول غير مرضي، وقد قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن المنطق : «لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد»[3].

=

فابن الصلاح والنواوي حرَّما ... وقال قوم ينبغي أن يعلما

والقولة المشهورة الصحيحة ... جوازه لكامل القريحة

ممارس السنة والكتاب ... ليهتدي به إلى الصواب

(١) «آداب البحث والمناظرة» (ص ٤ - ٥).

(٢) «الفتاوى» (٥/ ٢٦٠).

(٣) «الرد على المنطقيين» (ص٣)، وانظر «إتحاف المحقق بمواقف الإسلاميين من علم المنطق) (ص٣١-٣٢)، و- للفائدة-: «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (٢/ ٥٩٩-٦٣٢) عثمان بن علي حسن.

والمسلك الذي لا مراء فيه عند أهل الإيمان في بيان الحق، ومحاججة الخصوم هو مسلك القرآن ،فهو المنهج الأقوم والأبين.

ورحم الله العلامة ابن الوزير اليماني حينما قال : فقد جاءت الرسل بغاية الحجة، وبأقوم الدلائل والبراهين وإنه لن تكون حجة أبلغ علىٰ الله من حجج الأنبياء التي بلّغوها عن الله -تعالىٰ- إلىٰ خلقه، ولا أهدىٰ لهم إن قبلوها.

وقد تضمن كتاب الله -جلّ وعلا- من الشرائع والأحكام، والحجج والدلائل، والبيّنات ما يبهر العقول ويحيِّرُها، بل ويعقل شاردها، فإنه -جلّ وعلا- قد بيّن في كتابه في كثيرٍ من مواطن النقض والرد علىٰ المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهدٍ بألفاظ سهلةٍ قليلةٍ تحتوي علىٰ معانٍ كثيرة فجمع فيه من بيان علم الشرائع والحجج، والتنبيه علىٰ طُرق الحجج العقلية، والرد علىٰ الخصوم ببراهين قوية، وأدلة بيِّنة، سهلة الألفاظ، ظاهرة المقاصد، رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فما استطاعوا، بل اعترفوا بعجزهم وضعفهم(١).



(١) «ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان» (ص١٧-١٩).

وقد أقرَّ كثيرٌ مِن المتكلمين بأنه لا يمكن أن يزاد علىٰ الحُجَج الواردة في القرآن حيث قال الفخر الرازي: «بل أقرّ الكلّ بأنه لا يمكن أن يزاد في تقرير الدلائل علىٰ ما ورد في القرآن» اهـ. «ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان» (ص ٢٠) وانظر « منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٣٢).

و: «رِسالة الشِّرك ومظاهره» (ص٤٨-٤٩) للشيخ مُبارَك المِيلِي -رَحِمَهُ اللهُ-.

الفلسفة[1]

❏ **مفهومها:**

الفلسفة : هي كلمة معربة عن اليونانية، ولفظها مركب من كلمتين :

فيلا : ومعناها : المحبة أو الإيثار.

سوفيا : ومعناها : الحكمة ، فيكون معنىٰ (فيلسوف) أي : محب الحكمة.

ثم مرت (الفلسفة) بأطوار تطور معها تعريف المصطلح، وذلك تبعا لاختلاف الفلاسفة الذين وضعوا لها حدودًا وتعريفاتٍ.

ثم نتيجة الأطوار التي مرت بها الفلسفة صارت تطلق علىٰ آراء ونظرات تتعلق بالوحي والإلهيَّات والنُّبُوَّات ، وصارت تُعنىٰ بالعقل حتىٰ صار العقل عند الفلاسفة إلهًا ومصدرا للتلقي.

وعلىٰ هذا فإن الفلسفة : هي النظر العقلي المتحرر من كل قيد أو سلطة تُفرض عليه من الخارج ، بحيث يكون العقل حاكما علىٰ الوحي..

وموضوع الفلسفة متعلق بالعلوم الرياضية ،والطبيعية، والإلهية، والمنطقية.

وعلىٰ هذا فالمنطق فرع من فروع الفلسفة.

---

(١) هذا الباب مستفاد من كتاب «رسائل في الأديان والفرق والمذاهب» (ص١٠-٣٦) د. محمد ابراهيم الحمد -بِتَصَرُّفٍ وتَهذيب-.

والفلسفة أنواع منها:

** **الحسية**: وهي التي تتحصل بالحواس وموضوعها عالم الطبيعة، وأربابها الطبائعيون.

** **العقلية** : وهي التي تقوم على الإستدلال والبرهنة المنطقية وأربابها الفلاسفة المشاؤون[١].

** **الإشراقية** : وتسمى المشرقية نسبة لإشراق النفس ، وموضوعها العلوم الإلهية.

❐ نشأتها:

نشأت الفلسفة واشتهرت في بلاد اليونان بل وأصبحت مقترنة بها على الرغم من وجود الفلسفات في الحضارات المصرية والهندية والفارسية القديمة .

وما ذلك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقل فلسفتهم من التراث الوثني وبقايا الديانات السماوية، ومن حكمة لقمان، مما أكسبها قبولا وانتشارا دون غيرها ربما بسبب ميل النفوس ورغبتها إلى ما له تعلق بالديانات ، فجاءت الفلسفة اليونانية خليطا من نزعات شتى.

وقد كانت الفلسفة في أول أمرها تقوم على السفسطة والجدال بالحق والباطل حتى استوى ساق الفلسفة على يد أفلاطون ومن بعده أرسطو - المعلم الأول- .

وقد دخلت الفلسفة على المسلمين من خلال حركة التعريب والتي بدأت في

(١) وسموا بالمشائين لأنهم كانوا يتعلمون الفلسفة حال مشيهم.

العصر الأموي ثم اشتدت وانتشرت في العصر العباسي في عهد الخليفة المأمون.

❐ **حقيقتها:**

تقوم الفلسفة علىٰ الخيالات، والظنون في أكثرها؛ لأنها نتاج عقل موهوم فهي لا تستند علىٰ وحي أو رسالة.

والعقولُ مهما بلغت فلن تستقل بمعرفة الشرائع، وحقائق الكون، وصحة النظر بكل حال.

ولهذا كان الاختلاف، والافتراق، والاضطراب دأب الفلاسفة.

ومن الأمور التي يتضح من خلالها افتراق الفلاسفة وتنازعهم ما يلي:

❋❋ آراء الفلاسفة هي أراء فردية ليس لها معيار ثابت، فهي تختلف باختلاف الفيلسوف، وبيئته، وثقافته، ورؤيته وزاوية بحثه؛ فالمادي يبحث في الحقيقة المادية، والفيلسوف الميتافيزيقي(١) يبحث في الحقيقة الميتافيزيقية، وهكذا...

❋❋ الحقيقة في أدوار الفلسفة غير ثابتة فلكل فيلسوف وجهته، وكل فيلسوف يناقض غيره، فليس هناك حقيقة مطلقة عند أرباب الفلسفة.

ثم إن ثقافة الفيلسوف وبيئتَه، وأستاذَه، وتياراتِ مُجْتَمَعِهِ كل ذلك له تأثيره في رؤية الفيلسوف، وصنع عقليته.

❋❋ كثرة اضطراب الفلاسفة وشكهم.

---

(١) وهو اتِّجاهٌ فلسفي يَرجِعُ إلىٰ الفلسفة الإشراقيَّة، ويَبحثُ فيما وَراء الطَّبيعة وخَوارقها، وما لا يَخضعُ للحِسِّيَّات؛ كوجود الله، ومعنىٰ الحياة، والغاية من الوجود، والمآل بعدَ الموت.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: تجدهم -أي الفلاسفة- أعظم الناس شكًا واضطرابًا، وأضعف الناس علمًا وبيانًا، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم، ويشهده الناس منهم، وشواهد ذلك أعظم من أن نذكرها، وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض، والقدح، والجدل.

ومن المعلوم أن الاعتراض والقدح ليس بعلم و لا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي، وإنما العلم في جواب السؤال، ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ؛ إذ كل منهم يقدح في أدلة الآخر[1].

❑ عقيدة الفلاسفة:

والفلاسفة المتقدمون كأرسطو وغيره من أجهل الناس في الشرائع والأمور الإلهية، وأكثرهم اضطرابًا وتناقضًا، وأكثر كلامهم فيها خَبْطَ عَشْواءَ؛ لأنهم لم يستضيئوا بأنوار الرسالة، ولا كانت عندهم شريعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: للمتفلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الإلهيات؛ فإنهم من أجهل الناس بها، وأبعدهم عن معرفة الحق فيها.

وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ[2].

وقال -في معرض حديثه عن الفلاسفة وأهل الكلام- : لكن من المعلوم من حيث الجملة أن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشوًا وقولًا للباطل،

(١) «نقض المنطق» (ص٣٢).

(٢) «الفتاوى» (١٩/ ١٦٣).

وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم لا يكاد -والله أعلم- تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك[1].

ومن عقائدهم- علىٰ سبيل الإجمال- :

١- يقولون بقدم العالم.

٢- يقولون: بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات.

٣- يقولون: بأن منزلة الفيلسوف كمنزلة النبي، وربما فضل بعضهم الفيلسوف علىٰ النبي.

٤- يقولون: بحشر الأرواح دون الأجساد.

٥- يقولون: بأن الجنة والنار أمثال مضروبة وخيالات؛ لتفهيم العوام، وضبطهم دون أن يكون لها حقيقة في الخارج.

٦- يرون: أن العقل مقدم علىٰ الوحي.

❑ ومن أربابها ممن ينتسب إلىٰ الإسلام :

الكندي : وهو يوسف بن يعقوب بن اسحق الكندي المتوفىٰ سنة ٢٦٠هـ ويسمىٰ : (فيلسوف العرب).

الفارابي : هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان المتوفىٰ سنة ٣٣٩هـ ويطلق عليه (المعلم الثاني) في مقابلة المعلم الأول : (أرسطو).

---

(١) «نقض المنطق» (ص٣١).

ابن سينا : هو الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ والملقب بـ(الشيخ الرئيس).

❑ معتقدهم:

ومعتقدهم أقرب ما يكون إلى معتقد الفلاسفة الأوائل؛ فهم يسلكون في تقرير العقيدة، وبحث الأمور الإلهية مسلك قدماء الفلاسفة؛ فالمنهج الذي يسيرون عليه هو منهج عقلي محض لا يردون فيه أحكامهم العقلية إلى ما جاء به الرسول ﷺ، بل لا يعرفون من العلوم الإلهية إلا ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون مع زيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام من أهل الملة، حيث مزجوا الدين مع أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بينهما، ولكن على حساب الدين؛ فهُم يَعمدُون إلى النصوص، فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة حتى تتلائم مع قواعدهم الفلسفية.

فيقولون مثلًا: إن صفات الله التي جاء بها القرآن، ونطقت بها السنة ليست إلا تعبيرات عن ذات واحدة.

ويقولون: إن العرش هو الفلك التاسع، والكرسي هو الفلك الثامن، والملائكة هي النفوس، والقوى التي في الأجسام، وما يحدث من العالم من خوارق العادات حتى معجزات الأنبياء إنما سببه عندهم قوة فلكية، أو طبيعية، أو نفسانية إلى غير ذلك من الأمور التي وجدوها في الفلسفة؛ فتمحَّلوا لها نصوصًا من الدين.

ولقد بين علماء الإسلام ضلال الفلاسفة، وسوء مذاهبهم، وانحراف عقائدهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: حدثني ابن الشيخ الخضيري[١] عن والده الشيخ الخضيري -شيخ الحنفية في زمنه-، قال: كان فقهاء بخارىٰ يقولون: إن ابن سينا كان كافرًا ذكيًّا[٢].

ويقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن ابن سينا : وكان ابن سينا -كما أخبر عن نفسه- قال : أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب خالق ولا رسول مبعوث جاء من عند الله -تعالىٰ-[٣].

ويقول أيضًا : فالرجل معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد، ولا مبدأ عنده ولا معاد، ولا رسول ولا كتاب[٤].

ويقول الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وقد لخص الغزالي كلامه في «مقاصد الفلاسفة»، ثم رد عليه في «تهافت الفلاسفة» في عشرين مسألة، كفره في ثلاث مسائل منهن؛ وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجسماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وبدعه في البواقي، ويقال: إنه تاب عند الموت، فالله -سبحانه وتعالىٰ- أعلم[٥].

---

(١) كذا في الأصل ، والصواب (الحصيري) نسبة إلىٰ محلة يُعمل فيها الحصير، نبه علىٰ ذلك الشيخ سليمان الصنيع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما في حاشية «نقض المنطق» (ص١٨١).

(٢) «نقض المنطق» (ص١٨١).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٤).

(٤) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٠٩).

(٥) «البداية والنهاية» (١٢/ ٥٩) -أحداث سنة (٤٢٨هـ)-.

❑ لا حاجة لنا إلىٰ الفلسفة:

إن ما جاءت به الرسل الكرام عليهم السلام يغني عن أفكار الفلاسفة، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة جدًّا، وإليك طرفًا منها علىٰ سبيل الإجمال:

١- جاء الرسل بالوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أما ما جاءت به الفلاسفة فخيالات وظنون، وضلال.

فمصدر ما جاءت به الرسل هو الوحي، ومصدر ما جاءت به الفلاسفة هو العقل.

٢- ما جاءت به الرسل من أصول الدين متفق مؤتلف فهو مثانٍ متشابهٌ يصدِّق بعضه بعضًا، ويدل بعضه علىٰ بعض ، بخلاف ما جاءت به الفلاسفة فهو -في أغلبه- متناقض متهافت.

٣- ما جاءت به الرسل يتلاءم مع الفطرة، بخلاف كلام الفلسفة فهو يعمي الفطر، ويُبَلِّدُ الإحساس، ويُجفِّفُ الإيمان.

٤- ما جاءت به الرسل واضح جلي يفهمه العالم والعامي، ويدركه العربي والعجمي، والصغير والكبير ، بخلاف كلام الفلاسفة؛ فهو أشبه ما يكون -في أغلبه- بالطلاسم، والرموز.

٥- ما جاءت به الرسل حق كله بل لا سبيل إلىٰ الحق إلا عن طريقهم ، بخلاف ما جاءت به الفلاسفة؛ فهو -في أغلبه- باطل، وما فيه من حق موجود عند الرسل ، وأتباعهم.

٦- السعادة في الدنيا والآخرة إنما تكون باتباع ما جاءت به الرسل ، والشقاء في

الدنيا والآخرة إنما يكون بالإعراض عما جاؤوا به، ويوم القيامة لن يقال: ماذا أجبتم الفلاسفة، وإنما يقال: ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

٧- إن في اتِّباع الرسل خير وبركة واجتماع، وأما اتباع الفلاسفة فشكٌّ، وحيرة، وعمىٰ، واضطراب، وافتراق.

٨- أتْباع الرسل هم أسعد الناس، وأعلم الناس، وأزكىٰ الناس، وأعلاهم رتبة في كل فضيلة وهذه الحقائق والفضائل إنما تعظم وتزداد بحسب الاتباع، وكل من اتبع الرسل فله نصيب من ذلك بحسبه.

بخلاف أتباع الفلاسفة فهم -وإن أوتوا عقولًا، وفهومًا- فإنهم يعيشون في قلق، وضيق، وضنك.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[طه:١٢٤].



أهمية العقيدة

العقيدة هي رأس مال المسلم وعليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة .

وهي أعظم الأصول الدينية، ولأجلها قامت السماوات والأرض، ولأجلها خلق الله الجنة والنار، ومن أجلها بعث الله النبيِّين مُبشِّرِين ومُنذِرِين لئلَّا يكون علىٰ الله حجة بعد الرسل، وبسببها انقسم الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ، فحق العقيدة أن تفنىٰ الأعمار في شرحها وبيانها والدعوة إليها والذود عن حياضها.

ولقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يغرس في الناس معاني العقيدة، ويرسخ في القلوب حقائق الإيمان.

واليوم يتوارث الناس العقيدة كما يتوارثون المال ، ولأجل هذا تضطرب العقيدة في قلوب وعقول كثير من الناس عند ورود الشبهات.

وقد روىٰ الخلال في كتاب السنة عن جندب بن عبد الله قال : «كنا مع رسول الله ﷺ ونحن صبيانٌ حزاوَرَةٌ[1] فيعلمنا الإيمان ثم يعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا»[2].

أي كان النبي ﷺ يعلم الصبيان ويرسخ في قلوبهم الإيمان، قبل أن يعلمهم القرآن.

---

(١) جمع (حزور)؛ وهو: الذي قارب البلوغ . «النهاية» (١/ ٣٦٦) لابن الأثير، مادة (حزور).

(٢) رواه ابن ماجة في (المقدمة -باب في الإيمان-) برقم (٦٢)، وهو في «صحيح ابن ماجة» (١/ ٣٧) برقم (٥٢)، ورواه الخلال في «كتاب السنة» (٥/ ٥٣) برقم (١٥٩٣).

وفي هذا الأثر من العلم أنه يجب على الأب والأم، والمربي والداعية أن يزرعوا في الناشئة منذ نعومة أظفارهم الإيمان والعقيدة الصحيحة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة المرضيين ،وبما يتوافق مع أعمارهم وإدراكاتهم.

ثم إن دعوات الكفر والباطل قد علا صوتها وانتفشت من غير خجل أو حياء، كالدعوة إلى الإلحاد وإنكار الإله، ورعاية الشذوذ، بل صار هذا الباطل موجودًا حتى في الجامعات، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي ، مما يستوجب على الدعاة والمصلحين أن يعلنوها صيحة نذير، وأن يذكروا الناس بأهمية العقيدة وأن يُبيِّنوها للناس حتى تتحصن الأجيال من هذا الخطر القادم خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي المخيف، لذلك نقول :

* العقيدة الراسخة تعصم من فتن الشبهات، وتقي من التأثر بالمذاهب الفلسفية والإلحادية والبدعية والتي غزت مجتمعاتنا .

* العقيدة الراسخة تعصم من فتن الشهوات، فالعلم بأسماء الله وصفاته يُوَرِّثُ الخشية لله والمراقبة في قلب العبد وجوارحه.

* العقيدة الراسخة تحقق الحياة السعيدة والعيشة الرغيدة، فصاحب العقيدة الراسخة مطمئن النفس هادئ البال ليس بالقلق ولا الحيران.

قال الله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾[التغابن:١١] قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم[١] .

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٨/ ١٣٨).

وقال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

* العقيدة الراسخة هي أعظم أسباب التمكين في الأرض .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾[النور:٥٥].

* العقيدة الراسخة هي أوثق صلة تربط العبد بربه وخالقه -سبحانه- وجميع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج إنما تستمد قوتها والثبات علىٰ فعلها من قوة الإيمان والعقيدة التي في القلب.

* العقيدة الراسخة الصحيحة من أعظم أسباب تحقيق السلم والأمن المجتمعي، فمجتمع لا تجده فِرَقًا وأحزابًا هو مجتمع آمن مستقر، ومجتمع غزته العقائد المنحرفة والعقائد الضالة كالروافض والخوارج لن يكون إلا مجتمعًا متناحرًا يسفك بَعضُه دماءَ بعضٍ، ويَستحِلُّ بعضُه أعراضَ بعض.

□ ما يحتاجه طالب العلم في العقيدة:

يحتاج طالب العلم في باب العقيدة إلىٰ شيئين :

أحدهما : معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، وفهم مقاصدها ،وذلك بأن يعرف طالب العلم لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معانىٰ تلك الألفاظ، فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عَرَّفهم معاني تلك الألفاظ، فكانت

معرفة الصحابة لمعانى القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بَلَّغوا تلك المعانى إلى التابعين أعظم من تبليغهم لحروفه .

الثاني : معرفة ما قاله الناس في هذا الباب،فما كان موافقا للكتاب والسنة قبلناه،وما كان مخالفا رددناه،وما كان مجملا فصلنا فيه،فأخذنا الحق ورددنا الباطل(١).



(١) «الفتاوى» (١٧/ ٣٥٣).

خصائص العقيدة[١]

إن من أهم وأعظم ما تمتاز به العقيدة الإسلامية من الخصائص والصفات والتي ترسم معالمها وتحدد كيانها المستقل :

❑ **أنها غيبية – في غالبها[٢]** –، فهي تبحث في قضايا ومسائل لا مجال للعقل في إدراك حقائقها وكُنْهِها، لذلك كان مبنىٰ قضايا العقيدة علىٰ التصديق والإيمان والتسليم،مما يستوجب ترك الخوض والجدال فيها.

❑ **أنها شمولية** : فالعقيدة لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبينتها، كما أنها أعطت الإنسان تصورا صحيحا عن نفسه ونشأته ومآله، وأَعطَتْهُ تَصوُّرًا كامِلًا صحيحًا عن الكون والحياة.

❑ **أنها توقيفية** : أي يجب الوقوف فيها عند نصوص الكتاب والسنة، وترك الألفاظ المحدثة والمعاني الفاسدة التي أحدثها أهل الأهواء.

ومن خصائصها عن سائر الفرق الإسلامية:

❑ **قوة وسلامة مصدرها** : فهي تعتمد علىٰ الوحي المعصوم،وإجماع السلف، وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب المتكلمين الذين يعتمدون في تقرير العقيدة علىٰ العقل والنظر،والفلسفة،كما أنها لا توجد في مناهج الصوفية الذين يعتمدون علىٰ

---

(١) انظر «مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» (ص٢٥٩-٢٦٨) د.عثمان ضميرية و«مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة» (ص٩٠- ١٠٨)، د.ناصر العقل، و«المفيد في مهمات التوحيد» (ص٣٦-٥٧) د.عبد القادر صوفي.

(٢) وقلنا : في «غالبها» إخراجا لبعض أصولها مما ليس غيبًا كالإيمان بالرسل والرسالات.

الكشف والإلهام والذوق والوجد.

أما أهل السنة - بحمد الله- فهم معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح الذي هو سبيل المؤمنين،وأي عقيدة يزعم أصحابها أنهم يستمدون من غير هذه المصادر فهم علىٰ غير الهدىٰ.

❑ **اتصال سندها:** فلا يوجد - بحمد الله- أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ألا و له مستند أو قدوة من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الدين،بخلاف عقائد غيرهم التي ليس لها سند متصل.

وقد حَرِصَ السلفُ في القرون الثلاثة الأولىٰ وما بعدها علىٰ تدوين علم العقيدة،بالأسانيد المتصلة إلىٰ رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وتابعيهم، وبنظرة عجلىٰ علىٰ كتب السنة، والاعتقاد التي ملأت مكتبات الدنيا وسارت بذكرها الركبان يظهر لك صحة ذلك .

وقد أحسن الشيخ عبد السلام برجس -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حينما جمع مصنفًا لطيفًا سماه «تاريخ تدوين العقيدة» ذكر فيه أسماء المؤلفات في علم العقيدة ابتدء فيها بذكر كتاب «الصفات» لحماد بن سلمة والمتوفىٰ سنة (١٦٧).

وانتهىٰ بالمنظومة المشهورة في العقيدة والمسماة بـــــ(نونية القحطاني) للقحطاني المالكي[(١)].

(١) والقحطاني -هذا- لمْ يُعرف له ترجمة، فقد قيل أنه : محمد بن صالح المعافري المتوفّىٰ سنة (٣٧٨)، وقيل: (٣٨٣)، وقيل : توفي في القرن السابع، وقيل: ليس هو المعافري، والله اعلم مَن هو، وعلىٰ كل حال فحسبك بمنظومته علمًا وإتقانًا وانتصارًا للعقيدة والسنة، فلا =

** وفي القرن الأول كتب سعيد بن جبير(٩٥هـ) إلىٰ عبد الملك بن مروان رسالة في الإيمان اسمها «الإرجاء»(١).

** وفي القرن الثاني كتب حماد بن سلمة(١٦٧هـ) كتاب «الصفات» أو «الوصف»(٢).

** وَكَتَبَ عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨هـ) كتاب «الفتن»(٣).

** وفي القرن الثالث كتب أبو عبيد القاسم بن سلام(٢٢٤هـ) كتاب «الإيمان»(٤).

** وَكَتَبَ ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ)-وهو صاحب «المصنف» أيضًا كتاب «الإيمان»(٥).

** وَكَتَبَ الإمام أحمد (٢٤١هـ) «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»(٦).

** وَكَتَبَ الإمام البخاري (٢٥٦هـ) كتاب «خلق أفعال العباد»(١). وكتاب

=

يضره جهل الناس به إذا كان قد أخلص، وقصد وجه ربه، فرحمه الله رحمة واسعة .

(١) أخرجها مُسندةً: ابنُ نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٣٤٦) و (٢/ ٥٦٦).

(٢) ذكرَهُ أبو يعلىٰ الفراء في «إبطال التأويلات» (١/ ٥٠).

(٣) ذكرَهُ القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٠٧).

(٤) وقد طبعه المكتب الإسلامي بتحقيق العلامة الألباني- رَحِمَهُ اللهُ- .

(٥) وقد طبعه المكتب الإسلامي بتحقيق العلامة الألباني- رَحِمَهُ اللهُ- .

(٦) وهو مطبوع عدة طبعات من أحسنها الطبعة التي اعتنىٰ بها دغش العجمي والمطبوعة عن دار غراس.

«أخبار الصفات»[٢].

❊❊ وَكَتَبَ الإمام الدارمي -عثمان بن سعيد- (٢٨٠هـ) كتابيه العظيمين: «الرد علىٰ الجهمية»[٣] و« نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد»[٤].

❊❊ وفي القرن الرابع كتب الإمام أبو بكر الآجري (٣٦٠هـ) كتاب «الشريعة»[٥].

❊❊ وَكَتَبَ الإمام أبو عبد الله ابن بطة العَكبَري(٣٨٧هـ) كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»[٦].

❊❊ وفي القرن الخامس كتب الإمام أبو القاسم الالكائي(٤١٨هـ) كتابه الشهير

=

(١) وهو مطبوع متداول ومن أحسن طبعاته طبعة دار أطلس التي اعتنىٰ بها فهد بن سليمان الفهيد.

(٢) وهو كتاب مفقود ذكره فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/ ٢٥٩).

(٣) وهو مطبوع عن الدار السلفية بعناية الشيخ بدر البدر.

(٤) وهو مطبوع عن دار الرشد بعناية الدكتور رشيد الألمعي. وكتابا الدارمي من أجلّ الكتب، وأنفعها لطالب العلم، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما، وقد كان شيخ الإسلام يعظم من شأنهما، ويوصي بهما أشد الوصية. انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٣١).

(٥) وهو مطبوع عدة طبعات من أحسنها طبعة دار الوطن بعناية الدكتور الدميجي، وهي أطروحته لنيل درجة الدكتوراة.

(٦) وهو مطبوع عدة طبعات، مِن أحسنها طبعة دار الراية بعناية الشيخ عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وآخرين.

«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[١].

** وَكَتَبَ الإمام أبو عثمان الصابوني- نسبة إلىٰ صناعة الصابون- كتابه «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» وهو مطبوع متداول[٢].

** وفي القرن السادس أَلَّف قِوامُ السُّنَّة أبو القاسم التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) كتاب «الحجة في بيان المحجة»[٣].

** وألّف الحافظ عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد»[٤].

❑ **وضوحها ، وخلوها من التعقيد والمصطلحات الفلسفية والكلامية:** فعقيدة أهل السنة المستقاة من الكتاب والسنة في غاية الوضوح والبيان- ولله الحمد-.

وهذا بخلاف العقائد المنحرفة،والمركبة من مقدمات وقواعد معقدة وصعبة لا يُحسِنُ فَهْمَهَا أكثرُ الناس، كما أن تلك العقائد لا تُحقِّق يقينًا، ولا تُولِّدُ إيمانًا أو تألها في قلوب أصحابها ،لذا أعلن كثيرٌ من أربابها رجوعهم إلىٰ عقيدة السلف بعدما

(١) وهو مطبوع عدة طبعات من أحسنها طبعة دار طيبة والتي اعتنىٰ بها الدكتور أحمد بن سعد حمدان، وقد قدم له بمقدمة علمية نافعة.

(٢) ومن أحسن طبعاته طبعة دار العاصمة بعناية د. ناصر الجديع وهي أطروحته لنيل درجة الماجستير.

(٣) وهذا الكتاب مِن أَجمع كتب أهل السنة المؤلفة في العقيدة، وقد طبعته دار الراية بعناية محمد بن ربيع المدخلي، وهو أطروحته لنيل درجة الدكتوراة.

(٤) وهو مطبوع عن مكتبة العلوم والحكم بعناية الدكتور أحمد بن عطية الغامدي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

أصابتهم الحيرة والاضطراب والتناقض[١].

فمن حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لقد تركتكم علىٰ مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[٢].

ومن حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية**»[٣].

❐ **اتفاق أئمتها و حملتها مهما اختلفت أقطارهم وتباعدت بلدانهم**: يقول قِوامُ السنة الأصبهاني- رحمه الله- : «.. ومما يدل علىٰ أن أهل الحديث هم علىٰ الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلىٰ آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد علىٰ وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه علىٰ طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترىٰ بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرىٰ علىٰ ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرىٰ علىٰ لسان واحد، وهل علىٰ الحق دليل أبين من هذا ؟»[٤].

---

(١) «مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة» (ص ١٠٥).

(٢) رواه ابن ابي عاصم في «كتاب السنة» برقم (٤٨)، وحسَّنهُ العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٥٩).

(٣) رواه ابن ابي عاصم في «كتاب السنة» برقم (٥٠)، قال العلامة الألباني: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد؛ فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في «المشكاة» ثم خرجت بعضها في «الإرواء».

(٤) «الحُجَّة في بيان المحجة» (٢/ ٢٣٩).

❑ **أنها وسطية:** ومعاني «الوسط» في القرآن لا تخرج عن «العدل، والفضل، والخيرية»[١] فعقيدة أهل السنة هي الأفضل والأعدل والأخير من بين سائر الفرق،كما أن عقيدة أهل الإسلام هي الأعدل والأخير من بين سائر أهل المِلَل المُنحرِفة.

❑ **ومن مظاهر وسطيتها:**

**** أهل السُّنة وسط في باب أسماء الله وصفاته بين أهل النفي والتعطيل، وبين أهل التكييف والتمثيل:**

فأهل السنة يثبتون ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات علىٰ ما يليق بجلاله وكماله،من غير تكييف أو تمثيل،ومن غير تحريف أو تعطيل.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

**** وهم وسط في باب القدر بين الجبرية والقدرية.**

- فالجبرية اعتقدوا أن العبد مجبور علىٰ أفعاله،وأن مشيئته غير مؤثرة،وأنه مع ما يفعله من أعمال كالريشة في مهب الريح.

- والقدرية اعتقدوا أن العبد هو الذي يخلق أفعاله، وأن الله لا يقدر علىٰ أفعال العباد.

- فالجبرية ينسبون الظلم إلىٰ الله، والقدرية ينفون أن يكون الله خالق كل شيء.

- والقدرية نَفَوْا القدر وقالوا : الخلق خلق العبد، فالعبد هو الذي يخلق فعله.

---

(١) انظر «الوسطية في القرآن» (ص٦٣-٨٩) د.علي محمد الصلابي.

- والجبرية غلوا في القدر وقالوا : الفعل فعل الرب، وقدرة العبد غير مؤثرة.

وكلا المذهبين شَرٌّ ولكن بالمقارنة بينهما فإن القدرية خيرٌ من الجبرية، فالقدرية عظمت الشرائع والأمر والنهي، وأما الجبرية فأبطلت الشرائع بسوء عقيدتها.

وأما أهل السنة فيؤمنون بأن الله يعلم الأشياء قبل كونها، وأنه كتب مقادير كل شيء إلىٰ قيام الساعة، وأن مشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، وأنه خالق كل شيء من خير و شر.

**** وهم وسط في باب الوعيد بين الخوارج والمرجئة .**

والوعد : هو وعد الله لأهل الإيمان والتائبين بالثواب والمغفرة وحسن المآل،ومنه قوله -تعالىٰ-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزُّمَر:٥٣].

والوعيد: هو ما توعد الله به أهل الكبائر بالحساب والعقاب،ومنه قول رب العزة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٩٣].

- فالخوارج أخذوا بنصوص الوعيد وكفروا أصحاب الكبائر وجعلوهم خالدين في النار.

- والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد وجعلوا أصحاب الكبائر كاملي الإيمان.

- فالخوارج عبدوا الله بالخوف وحده، والمرجئة عبدوا الله بالرجاء وحده،

وأما أهل السنة فعبدوا الله بالحب والخوف والرجاء، وقالوا : يجوز أن يعفو الله عن المذنبين والعاصين، مِن غَيرِ توبةٍ مِمَّا ليسَ كُفرًا ناقِلًا عـن المِلَّـةِ، ويجـوز أن يخـرج أهل الكبائر من النار، كما يجوز أن يعفو عنهم من غير سابقة عذاب.

**** وهم وسط في باب الأسماء والاحكام[١] بين الخوارج الوعيدية ،وبين المرجئة.**

- فالخوارج سلبوا اسم الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وسَمَّوْهُ كافرًا في الدنيا، خالدًا في النار في الآخرة ، والمعتزلة جعلوه في الدنيا في منزلة بين منزلتين، وفي الآخرة قالوا: هو خالد في النار.

- والمرجئة جعلوا العصاة مؤمنين كاملي الإيمان،وأعطوه اسم الإيمان المطلق.

وهدىٰ الله أهل السنة لما اختُلِفَ فيه من الحق فقالوا : العاصي اسمه: مؤمن فاسق، أو مؤمن عاصي، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يسمونه مؤمنًا بإطلاق، ولا ينفون عنه مطلق الإسم، وأما في الآخرة فهو في مشيئة الله- إن لم يتب- إن شاء عذبه وإن شاء غفر الله.

---

(١) والمراد بالأسماء : أسماء الدين، وهي الأسماء التي يترتب عليها وعد أو وعيد كاسم (المؤمن، المسلم، الكافر، الفاسق).

والمراد بالأحكام هي أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

حُكم تعلُّم العقيدة

تَعلُّم العقيدة منه ما هو فرض عين علىٰ جميع الناس، ومنه ما هو فرض كفاية، فهي أول واجب وآخر واجب.

فمن حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :كُنتُ ردف النّبيّ ﷺ علىٰ حمار يُقال لهُ عفير فقال: «**يا معاذ! هل تدري حقُّ اللّه علىٰ عباده وما حقُّ العباد علىٰ اللّه؟**»، قُلتُ: اللّهُ ورسُولُهُ أعلمُ، قال: «**فإنّ حقّ اللّه علىٰ العباد أن يعبُدُوهُ ولا يُشركُوا به شيئًا، وحقُّ العباد علىٰ اللّه أن لا يُعذّب من لا يُشركُ به شيئًا**»، فقُلتُ: يا رسُول الله! أفلا أُبشّرُ به النّاس؟ قال: «**لا تُبشّرُهُم فيتّكلُوا**»[1].

وهي آخر واجب، فمن حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[2].

فما لا يصح الإيمان إلا به فتعلمه فرض وواجب علىٰ كل عبد مسلم، ومن هذا الاعتقاد بأركان الإيمان الستة علىٰ وجه الإجمال.

وأما تعلم أركان الإيمان علىٰ وجه التفصيل، كالعلم بدقائق المسائل، أوإلزام المخالفين، والرد علىٰ الزائغين والمبتدعين فهو فرض كفاية.

---

(١) «البخاري» (٦/ ٧٢-فتح) برقم (٢٨٥٦)، و«مسلم» (٢/ ١٧٧-١٧٨-نووي) برقم (١٤٣).

(٢) «مسلم» (٦/ ٤٥٨-نووي) برقم (٢١٢٠).

مصادر العقيدة[١]

❑ القرآن العظيم:

وقد أتىٰ القرآن العظيم علىٰ الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في نفوس الناس، «حيث بينها غاية التبيين ووضحها توضيحا لا يقاربه شيء من الكتب المنزلة ، ولم يُبقِ منها أصلا إلا بينه وجمع فيه بين البيان والبرهان، حيث بين المسائل المهمة الجليلة ، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية والفطرة»[٢] فهو العمدة لمن أراد السلامة والنجاة، فالعقائد لا يمكن الوصول إليها بالعقول المجردة بل لا يتم ذلك إلا بالخبر الصادق، وكتاب الله فيه كمال الهدىٰ ،إذ فيه أصدق الأخبار وأعدل الأحكام.

❑ السنة الصحيحة – متواترها وآحادها–:

فالسنة وحي من عند الله كما القرآن وحي من عند الله، قال الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣-٤].

قال حسان بن عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل علىٰ النبي ﷺ بالسُّنَّة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن [٣].

---

(١) انظر «المفيد في مهمات التوحيد» (ص٣٢ – وما بعدها) د. عبد القادر صوفي، و«مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» (ص١٠٩ – وما بعدها) د. عثمان ضميرية، و«مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة» (ص٦٣ – وما بعدها) د. ناصر العقل.

(٢) «فتح الرحيم الملك العلَّام» (ص٢١) العلامة السعدي– رَحِمَهُ اللَّهُ–.

(٣) رواه الدارمي برقم (٦٠٧)، واللالكائي (١/ ١٤٧).

فالواجب هو كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، والتصديق لخبره، دون أن تُعارض السنن بخيالات باطلة يزعم أصحابها أنها قواطع عقلية تُحقِّقُ اليَقين، ثم يجعلون السنن الصحيحة المستقيمة ظواهر نقلية لا تُحقِّق اليَقين.

وقد بَيَّنَ رسول الله ﷺ للناس ما أنزل إليه من ربه بيانًا كافيًا شافيًا، فلم يترك شيئا مما فيه صلاح الخلق، وهداية قلوبهم إلا وبينه غاية البيان.

يقول أبو ذر رضي الله عنه لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا[1] .

وفي «صحيح الإمام مسلم»[2] عن سلمان رضي الله عنه أنه قيل له : علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة؟ فقال : أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار.

فإذا كان النبي ﷺ قد بين لأمته كل شيء لهم فيه منفعة وإن دقت، فإنه محال مع هذا أن يترك تعليمهم ما يعتقدونه بربهم ومعبودهم الذي معرفته وعبادته أشرف المطالب، وأعظم المقاصد، دُون بَيانٍ وإحكامٍ.

وفي هذا المَعنىٰ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

«فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلىٰ النور وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣) وابن حبَّان في «صحيحه» (التقاسيم والأنواع) (٢/ ٢٦٩) برقم (١٢٩٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١/ ١١٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٤- نووي) برقم (٦٠٥).

اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلىٰ ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلىٰ الله وإلىٰ سبيله بإذنه علىٰ بصيرة وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا»[١].

والحاصِلُ أنَّ السُّنَّةَ مَصدرٌ مِن مصادر العَقيدة، وأنَّ بيانَها بمسائلِها ودلائلِها قد وَقَعَ في النُّصوصِ النبويَّة علىٰ أكملِ الوُجوهِ وأحكَمِها، ويتَفرَّعُ عن هذا مسألتان:

الأولىٰ : هل تثبت العقيدة بأحاديث الآحاد ؟ وهل تحقق أحاديث الآحاد اليقين[٢]؟

الثانية: هل يصح التقليد في العقيدة ؟ وهل يحقق التقليدُ اليقين؟

وجَوابًا عن المسألةِ الأُولَىٰ؛ نَقُولُ:

اعلم -زادك الله علمًا- بأن الإجماع منعقد علىٰ قبول خبر الواحد من حيث الأصل.

---

(١) «الفتاوىٰ» (٥/ ٦).

(٢) انظر «فتاوىٰ العقيدة» للشيخ محمد بن صالح العثيمين - رَحِمَهُ اللهُ - (ص ١٨-١٩).

وفي هذا يقول الإمام الشافعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديما وحديثًا علىٰ تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّته جاز لي، ولكنْ أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفتُ من أن ذلك موجودًا علىٰ كلهم»(١).

وقد قلنا فيما سبق بأن العقيدة لا بد فيها من اليقين، فكيف يفيد خَبَرُ الآحاد(٢) العلمَ، والعلمُ إنما يبنىٰ علىٰ اليقين؟ وهل إفادته العلم كإفادة الخبر المتواتر(٣)

---

(١) «الرسالة» (ص٤٥٧)، وانظر -للفائدة-: «شرح الكوكب المنير» (٢/ ٣٥٢) لابن النجار، و«تأويل مختلف الحديث» (ص٦٦) لابن قتيبة، وكتاب «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة» (ص٥١٥).

(٢) وهو ما رواه واحدٌ أو جماعة لم يبلغوا حد التواتر سواء انتهىٰ إلىٰ حد الاستفاضة والشهرة أو لم ينته إليه، وللحنفية تقسيم خاص للأخبار،حيث يجعلونها ثلاثة: متواتر ومشهور وآحاد،فيضيفون المشهور وهو ما كان آحادًا في أصله، متواترًا في فرعه،وذلك بأن يرويه في الأصل عدد دون التواتر ثم ينتشر في القرن الثاني فيرويه جماعة لا يمكن تواطؤهم علىٰ الكذب، مع تلقي الأمه له بالقبول .. انظر «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٢٤)، و«الكافي» (١/ ٢٩٢) للتبريزي.

(٣) **والمتواتر؛** هو: ما رَواهُ عَددٌ كبيرٌ، يَمتنِعُ تَواطُؤُهم علىٰ الكذب، والمُتواتِرُ لا بُدَّ فيه من تعدد رواته في جميع طبقات السند من غير تحديد بعدد معين، بل المعتبر ما حصل به العلم علىٰ المعتمد، وهو مذهب الجمهور، فإن قيل: كيف السبيل إلىٰ العلم بأن المتواتر يفيد العلم من غير تعيينٍ للعدد ؟؟ قيل : هو كالعلم بأن الطعام يُشبع والماء يروي مع الجهل بالمقدار الذي يحصل به الشبع والري .. انظر «نشر الورود» (١/ ٣٨١) للشنقيطي.

وجاء في «المسودة» (١/ ٤٧١) : ولا يعتبر في التواتر عدد محصور بل يعتبر ما يفيد العلم =

وكيف يصح أن تثبُتَ به العقائد بناء علىٰ ذلك ؟؟

وقبل الجواب فإنه ينبغي العلم بأنه لم يقل أحدٌ بأن كل خبر آحاد يفيد العلم.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: .. «فإن أحدًا من العقلاء لم يقل إن خبر كلَ واحد يفيد العلم،وبحث كثير من الناس إنما هو في رد هذا القول».اهـ(١).

وفصَّل في ذلك ابن القيم فقال: «خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يُجزَمُ بكذبه لقيام دليل كذبه ، وتارة يُظَنُّ كذبه، إذا كان دليل كذبه ظَنِّيًا، وتارة يُتوقَّفُ فيه، فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يُجزَمُ به، وتارة يُجزَمُ بصدقه جزمًا لا يبقىٰ معه شك، فليس خبر واحد يفيد العلم ولا الظن، ولا يجوز أن يُنفىٰ عن خبر الواحد مطلقًا أنه يحصل به العلم،

=

علىٰ حسب العادة في سكون النفس إليهم وعدم تأتي التواطؤ علىٰ الكذب منهم إما لفرط كثرتهم وإما لصلاحهم ونحو ذلك .اهـ

ويقول شيخ الاسلام كما في «الفتاوىٰ» (١٨/ ٤٨) : «المقصُودُ من المُتواتر ما يُفيدُ العلم لكن من النّاس من لا يُسمّي مُتواترًا إلّا ما رواهُ عدد كثير يكُونُ العلمُ حاصلًا بكثرة عددهم فقط ويقُولُون : إنّ كُلّ عدد أفاد العلم في قضيّة أفاد مثلُ ذلك العدد العلم في كُلّ قضيّة وهذا قول ضعيف، والصّحيحُ ما عليه الأكثرُون : أنّ العلم يحصُلُ بكثرة المُخبرين تارةً وقد يحصُلُ بصفاتهم لدينهم وضبطهم وقد يحصُلُ بقرائن تحتفُّ بالخبر يحصُلُ العلمُ بمجمُوع ذلك وقد يحصُلُ العلمُ بطائفة دُون طائفة، وأيضًا فالخبرُ الّذي تلقّاهُ الأئمّةُ بالقبُول تصديقًا لهُ أو عملًا بمُوجبه يُفيدُ العلم عند جماهير الخلف والسّلف وهذا في معنىٰ المُتواتر». اهـ.

(١) «المسودة» (١/ ٤٩٠).

فلا وجه لإقامة الدليل علىٰ أن خبر الواحد لا يفيد العلم وإلا اجتمع النقيضان،بل نقول خبر الواحد يفيد العلم في مواضع ..». اهـ[١].

◻ المذاهِبُ والأقوالُ فيما يُفيدُها خَبَرُ الواحد:

القولُ الأوَّل: أن خبر الواحد الصحيح يفيد الظن فقط.

يُنسب هذا القول إلىٰ جمهور الأصوليين[٢].

وهنا يجب التنبيه علىٰ أن أصحاب هذا القول يُسلِّمُونَ بإمكانية حصول العلم بخبر الواحد إذا اتصلت به قرائن قاطعة، ولكن يجعلون سبب حصول العلم هنا هي القرائن نفسها، وليس الخبر الذي ليس له أثر فيه.

القولُ الثَّاني: أن خبر الواحد الصحيح يفيد العلم .

ذهب إلىٰ هذا الإمام أحمد - في إحدىٰ الروايتين[٣]- واختارها جماعة من أصحابه، وبه قال ابن خويز منداد - من المالكية- وحكاه عن الإمام مالك، وهو

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٧١١).

(٢) انظر «المستصفىٰ» (١/ ٢٧٢)، و«القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٢٦- ٣٣٢) - وللفائدة- انظر «مختصر الصواعق» (٢/ ٧١١ - وما بعدها) .

(٣) ومما يجدر التنبيه إليه أن بعض الأصوليين نقل عن الإمام أحمد القول بإفادة خبر الواحد العلم اليقيني واطراد ذلك في كل خبر واحد، وهذا غير صحيح، وقد أنكر ذلك ابن القيم إنكارًا شديدًا وعدّه كذبًا علىٰ الإمام أحمد ، انظر «القرائن عند الأصوليين»(١/ ٣٣٤) ، و«موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة - عرضا ونقدا-» (ص١٨٥) سليمان الغصن.

قول الإمام الشافعي[١] وهو قول جمهور المحدثين، وأكثر اهل الظاهر[٢].

وأصحاب هذا القول يقولون بإمكانية أن يفيد خبر الواحد العلم، وذلك كأن يكون خبر عدل ضابط عن مثله إلىٰ رسول الله ﷺ وليس مرادهم أن كل أخبار الآحاد تفيد العلم، وتعليلهم هنا لقبول خبر الآحاد إنما هو من جهة أن الشريعة محفوظة بحفظ الله لها،فلو كان خبر الآحاد الصحيح غيرَ مقبول وغيرَ مفيد للعلم لما سكت عن بيان حقيقته وضعفه أهل الفن وفرسان الميدان من المحدثين والحفاظ[٣]

القولُ الثَّالث: أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن، وإلا أفاد غلبة الظن.

وهذا قول كثير من أهل العلم كشيخ الإسلام[٤] - وعزىٰ القول به لجمهور

---

(١) انظر «الرسالة» (ص٤٠١ - وما بعدها).

(٢) انظر «التمهيد» (١/ ٧-٨) لابن عبد البر ، و«الإحكام» (١/ ١١٥ - وما بعدها) لابن حزم، و«مختصر الصواعق» (٢/ ٧٢٥ و٧١٣) .

(٣) انظر «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٣٦).

(٤) ونازع بعض الباحثين فجعل القول الثاني هو ما يقرره شيخ الإسلام، وهو ما ذكره الدكتور صالح آل منصور في كتابه «أصول الفقه وآل تيمية» (٢/ ٥٦٢)، ويظهر لي أن ما نسبه الدكتور لشيخ الإسلام قد لا يُسلّم به، والأشبه أن تقريرات شيخ الإسلام تدل علىٰ أنه يرجح القول الثالث، فقوله كما في «المسودة» (١/ ٤٩٠) : «.. فإن أحدًا من العقلاء لم يقل إن خبر كلَ واحد يفيد العلم، وبحث كثير من الناس إنما هو في رد هذا القول..». اهـ. وقوله -أيضًا- (١/ ٤٩٦) : «مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات ..». وقوله في «الفتاوىٰ» (١٨/ ٤٩) - عن حديث إنما الأعمال =

السلف والخلف- وبهِ قالَ ابنُ القيِّم[١]، وهو قول جماعة من الأصوليِّين كالجويني والغزالي[٢] والرازي[٣]، وابن قدامة[٤] والطوفي[٥] وابن الحاجب، والقرافي[٦] وغيرهم، «وهذه القرائن يمكن أن تضبط بما تسكن إليه النفس كسكونها إلىٰ المتواتر أو قريب منه بحيث لا يبقىٰ فيها احتمال عنده»[٧].

□ القرائن التي يمكن أن تحتف بأخبار الآحاد الصحيحة :

أولًا: تلقي الأمة للخبر بالقبول تصديقًا له: كحديث «**إنما الأعمال بالنيات**»[٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «هو -أيْ الحديث- مما تلقاه أهل العلم

= بالنيات-: «هو مما تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق وليس في أصله متواترًا بل هو من غرائب الصحيح،لكن لما تلقوه بالقبول والتصديق صار مقطوعًا به».اهـ.

أقول: تشبه هذه النصوص أن تكون نصًا من شيخ الإسلام بأنه يشترط القرائن كي يصير خبر الآحاد مفيدًا للقطع، وإلا أفاد غلبة الظن - والله أعلم - والمسألة تحتاج إلىٰ مزيد تحرير. وانظر - للفائدة- «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٤/ ٣٦٤) .

(١) انظر «مختصر الصواعق» (١/ ٧٣٥) .

(٢)« المستصفىٰ» (٢٧٢-٢٧٣).

(٣) «المحصول» (٢/ ١١٤-١١٥).

(٤) «روضة الناظر» (ص٩١-٩٢).

(٥) «روضة الناظر» (٢/ ١٠٣).

(٦) انظر «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٣٩) .

(٧) «شرح الكوكب المنير» (٢/ ٣٤٩) لابن النجار.

(٨) «البخاري» (١/ ١٢فتح) رقم (١).

بالقبول والتصديق وليس في أصله متواترًا بل هو من غرائب الصحيح، لكن لما تلقوه بالقبول والتصديق صار مقطوعًا به». اهـ[(١)].

ثانيًا : تلقي الأمة للخبر بالقبول عملًا به: كحديث «**لا وصية لوارث**»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «فإن هذا مما تلقته الأمة بالقبول والعمل بموجبه، وهو في السنن ليس في الصحاح».اهـ[(٣)].

ثالثًا : ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق: ومن ذلك كلُ ما أخرجه الشيخان في الصحيحين مما لم يبلغ حد التواتر، فإنه قد احتف بها جملة قرائن منها :جلالة الشيخين في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح من الضعيف، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوىٰ في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر[(٤)].

وفِي هذا يقولُ ابنُ القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب.. فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو مُحصِّلٌ للعِلم مُفيدٌ لليقين، ولا عبرة بمن عداهم مِن المُتكلِّمين والأصوليِّين، فإن الاعتبار في الإجماع علىٰ كل أمرٍ مِن الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم، كما لم يُعتبر في الإجماع علىٰ الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٨/ ٤٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٦٧)، والطيالسي (٢/ ٥٤٣) برقم (١٣١٣)، والترمذي (٤/ ٣٧٦) برقم (٢١٢٠)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٦/ ٨٧).

(٣) «الفتاوىٰ» (١٨/ ٤٩).

(٤) انظر «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» (ص ٢٩) للحافظ ابن حجر .

والأطباء، كذلك لا يعتبر في الإجماع علىٰ صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعِلله، وهم علماء الحديث العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم». اهـ[١].

والأشبه بالصواب هو القول الثالث، فإن الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة قبول أخبار الآحاد الثابتة الصحيحة التي احتفت بها القرائن مطلقًا، سواء في العقائد أو في الأحكام ، فإذا جاء الخبر مرويًا من طريق الأئمة الثقات مسندًا منهم خلفًا عن سَلَف، سالمًا مِن العِلَل والقوادح، وتلقَّتهُ الأُمة بالقَبُولِ؛ فإنَّهُ يَجبُ العمل به وإثبات ما دل عليه من العقيدة أو العمل[٢].

يقول ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مُقرِّرًا مذهب السلف في ذلك-: «وكلهم يَدِينُ بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، علىٰ ذلك جماعة أهل السنة». اهـ[٣].

ويقول شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات»[٤].

بل قال التفتزاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أنّ خبر الواحد في أحكام الآخرة من عذاب القبر

---

(١) في «مختصر الصواعق» (٢/ ٧٢٤).

(٢) انظر «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٣) «التمهيد» (١/ ٨).

(٤) في «المسودة» (١/ ٤٩٦).

وتفاصيل الحشر والصّراط والحساب والعقاب وغير ذلك مقبُولٌ بالإجماع». اهـ[١].

وقد ذهب جمهور المعتزلة وأكثر المتكلمين إلىٰ أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد وأصول الديانات، بل لا تفيد العلم مطلقا، وذلك أن تلك الأخبار ظنية، لا تفيد القطع ولا تحقق اليقين[٢]، وبنوا علىٰ ذلك أنه لا يجوز الاحتجاج بها في مسائل الاعتقاد إلا إذا جاءت موافقة للعقل، فيُستدل بها تعضيدا لا احتجاجا، وإلا رُدت وحكم ببطلانها، وقد وافق المعتزلة علىٰ هذا الأصل كثير من متكلمي الأشاعرة، فهذا ابو المعالي الجويني يذكر في كتابه «الارشاد» أن تصديق الدليل السمعي متوقف علىٰ موافقة قضية العقل، ويقول في شأن أخبار الآحاد : «وقد قدمنا أن أخبار الآحاد لا يجب انقضاؤها في القطعيات.

وقد أنكر أهل العلم هذا القول إنكارًا شديدًا، وعَدُّوه من شذوذات المسائل وبدعها لما يترتب عليه من رد للسنن الثابتة الصحيحة من غير موجب صحيح معتبر[٣].

«ويكفي في إبطال هذا المذهب ما عليهِ جماعةُ أهل السُّنَّة من أن خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد العلم لأن غاية ما تعلق به القوم : أن خبر الواحد لا يجوز الاحتجاج به في مسائل الاعتقاد لكونه مفيدا للظن»[٤]. وفساد هذا القول معلوم، فكون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية هو أمر نسبي، يختلف باختلاف الناظر

---

(١) في «التلويح شرح التوضيح» (٢/ ٩).

(٢) «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٧٥).

(٣) انظر «منهج أهل السنة في تدوين علم العقيدة» (ص ٥١٣) د. ناصر الحنيني.

(٤) «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (١/ ١٢٧ – وما بعدها).

والمستدل، وليس هو صفةً في نفسه.

وفي هذا يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل، فقد يكون قطعيًّا عند زيد ما هو ظني عند عمرو، فقولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة لا تفيد العلم، بل هي ظنية، هو إخبار عما عندهم، وما قام في نفوسهم... وحالهم كحال من وجد في نفسه وجعًا أو لذةً او حبًا أو بغضًا، فقام له من يستدل علىٰ أنه غير وجيع ولا متألم ولا محب ولا مبغض، ويكثر من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وجدتَه، ولسان حاله يقول: لو كان حقًا لاشتركنا أنا وأنت في ذلك الشعور، وهذا عين الباطل، بل ونقصان في العقل، وما أحسن ما قيل:

أقــول للائــم المهتــدي ملامَــتَهُ ذق الهوىٰ فإن استطعتَ الملام لُمِ[1]

ويقول أيضًا: فإذا قالوا: أخباره وأحاديثه الصحيحة لا تفيد العلم فهم مخبرون عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منه العلم، فهم صادقون فيما يخبرون به عن أنفسهم كاذبون في إخبارهم أنها لا تفيد العلم لأهل الحديث والسنة». اهـ[2].

◻ حُكْم جَحْدِ ما هو ثابتٌ بخبر الآحاد:

وأما جحد ما هو ثابت بخبر الآحاد فقد قع الخلاف في حكمه، ومنشأ الخلاف مبني علىٰ ما سبق ذكره من أن خبر الآحاد هل يفيد العلم أو لا يفيده؟ فإن قلنا: يفيد العلم- وهو الحق- كفر منكره، وإلا فلا[3].

---

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٣٢-٤٣٣)- بتصرف-، وانظر «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة» (ص ٣٩) للألباني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - .

(٢) «مختصر الصواعق» (٢/ ٧٢٧).

(٣) انظر «شرح الكوكب المنير» (٢/ ٣٥٣).

والذي عليه عامة أهل السُّنَّة أن من جحد ما عُلم أن الرسول ﷺ جاء به سواء كان ذلك ثابتًا بطريق التواتر أو الآحاد فذلك كفرٌ.

ومن أنكر سُنَّة ثابة صحيحة بلا تأويل سائغ أو عذر مقبول بعد أن تبينت له وتحقق من ثبوتها وقامت عليه الحجة من غير مُدافع أو منازع فقد خرج من الملة وفارق الدين[1].

□ المسألة الثانية: هل يصح التقليد في العقيدة؟ وهل يحقق التقليدُ اليقين؟

وهذه المسألة مما اختلفت فيها الأنظار، وفيها أقوالٌ ثلاثة:

١- قول من قال: إن التقليد في العقائد حرام، وهذا قول عامة المتكلمين، وطائفة من الفقهاء[2]، حيث أوجبوا علىٰ المكلف النظر والاستدلال، ولا شك في فَسادِ هذا القول؛ لما فيهِ مِن إيجابٍ لِمَا لَمْ يُوجِبْهُ الشَّرع.

٢- قول من قال: يجب التقليد، ويحرم النظر في الدليل وعَلَّلوا: بأن النظر في الأدلة مظنة الوقوع في الضلال والشبهات لاختلاف الأذهان والأنظار[3]، وهذا أيضًا فساده معلوم، فمن الممتنع أن تكون الشريعة وأدلتها سبيلا إلىٰ الضلال،نعم يمكن

---

(١) انظر «القرائن عند الأصوليين» (١/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٢) انظر «شرح الكوكب المنير» (٤/ ٥٣٣)، و«شرح مختصر الروضة» (٣/ ٦٥٦) للطوفي، و«المسودة» (٢/ ٨٤٤) لآل تيمية، و«المدخل الىٰ مذهب الإمام أحمد» (ص٢٥٩) لابن بدران، و«شرح السنة» (١/ ٢٨٩) للبغوي.

(٣) انظر «الفتاوىٰ» (٢٠/ ٢٠٢)، و«شرح الكوكب المنير» (٤/ ٥٣٥)، و«جمع الجوامع» للتاج السبكي - مع «شرح المحلي»- (٢/ ٤١٠)، و«المستصفىٰ» (٢/ ٤٦٤).

وقوع الاشتباه في بعض نصوصها على بعض الناس لكن أن تكون سبيلًا إلى الضلال فلا نشكُّ في بُطلانِ هذا القولِ -أيضًا-؛ لِبشاعتِه وقُبحِه، ولما يَستلزمُه مِن انتِقاصٍ واتِّهامٍ لِنُصوصِ الشَّريعةِ.

٣- قول من قال: يجوز التقليد ويصح إيمان المقلد[١] بضوابط، وهي:

* أن يكون المُقلِّدُ جاهلًا، أو عاجزًا لا يقدر على الاستدلال والنظر في الدليل.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «تقليد العاجز عن الاستدلال للعالم يجوز عند الجمهور»[٢].

* أن يكون المُقَلد من أهل العلم والديانة والاستقامة على السنة.

* أن لا يخالف التقليد نصًا أو إجماعًا.

* أن يَتْرُك المُقلِّدُ ما عليه إذا استبان له خطؤه فيه[٣].

وهذا القول هو الصحيح، فلا عبرة بقول من أوجب أو حرم.

ولِذلك؛ يقول التاج السبكي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «والتحقيق إنْ كان أخذًا لقولِ غيرٍ بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي، وإنْ كان جزمًا فيكفي»[٤].

والحاصل أن التقليد لغير القادر على النظر في الدليل يمكن أن يحقق اليقين إذ

---

(١) انظر «إرشاد الفحول» (٢/ ١٠٨٤) للشوكاني.

(٢) «الفتاوى» (١٩/ ٢٦٢).

(٣) انظر «الفتاوى» (٢٠/ ٢٠٢)، و«التقليد في العقائد» (ص ٥٨- وما بعدها).

(٤) «جمع الجوامع - مع شرحه البدر الطالع-» (٢/ ٤١١).

المطلوب هو الطمأنينة لخبر المخبِر والجزم به، فإذا ما تحقق اليقين من خلال خبر الصادق الموثوق بدينه وعلمه فقد حصل المقصود، وإن اختلفت درجات ذلك اليقين، وتفاوتت مراتبه ومنازله(١)، فالعلم واليقين مراتب ومناقل(٢).

ثالثًا : الإجماع – مصدر مكمل تبعي–:

والإجماع اليقيني حجة لا يجوز مخالفته والخروج عن مقتضاه..

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رَحِمَهُ اللَّهُ– : «فكُلُّ مسألةٍ يُقطعُ فيها بالإجماع وبانتفاء المُنازع من المُؤمنين؛ فإنّها ممّا بيّن اللّهُ فيه الهُدىٰ، ومُخالفُ مثل هذا الإجماع يكفُرُ كما يكفُرُ مُخالفُ النّصّ البيِّن، وأمّا إذا كان يُظنُّ الإجماعُ ولا يُقطعُ به فهُنا قد لا يُقطعُ أيضًا بأنّها ممّا تبيّن فيه الهُدىٰ من جهة الرّسُول، ومُخالفُ مثل هذا الإجماع قد لا يكفُرُ؛ بل قد يكُونُ ظنُّ الإجماع خطأً، والصّوابُ في خلاف هذا القول وهذا هُو فصلُ الخطاب فيما يكفُرُ به من مُخالفة الإجماع وما لا يكفُرُ»(٣).

رابعًا: فَهْم السلف الصالح – مصدر فهم –:

قال الله –جل وعلا–: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، والمؤمنون

---

(١) انظر «جمع الجوامع – مع شرحه البدر الطالع– » (٢/ ٤١١).

(٢) انظر «مختصر الصواعق» (٢/ ٧١٥) .

(٣) «الفتاوىٰ» (٧/ ٣٩).

في زمن التنزيل هم أصحاب رسول الله ﷺ، ليس غيرهم.

فأهل السنة المحضة يجعلون اعتقاد وفهوم الصحابة والتابعين وتابعيهم أصلًا ينسجون علىٰ منواله، «ففضيلة الصحابة وخيريتهم التي اختصوا بها لا تدانيها فضيلة، فَهُم صفوة مختارة، وثلة مجتباة، وهذه الخيرية لا شك أن من أسبابها كمال علمهم وفهمهم عن الله ورسوله،وصحة الدين،وصدق العزم في الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ شرعه.

فالصحابة أفقهُ الأمة، وأبرُّهم قلوبًا، وأعمقهم عِلمًا، وأقلُّهم تَكلُّفًا، وأصحُّهم قصودًا، وأصحُّهم فِطرةً، وأكملُهم إدراكًا، وأصفاهُم ذِهنًا، شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول، وليس مَن سمع وعلم ورأىٰ حال المتكلم كمن كان غائبًا ولمْ يَرَ، ولم يسمع، أو سمع وعَلِم بواسطة -أو وسائط كثيرة-.

وعليه؛ فالرجوع إلىٰ ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم مُتعيِّن- قطعًا- علىٰ من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة، ولهذا كان الأخذ بالفتاوىٰ الصحابية والآثار السلفية أولىٰ من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن أقربها إلىٰ الصواب بحسب قرب أهلها من عصر النبوة.

ففتاوىٰ الصحابة أولىٰ أن يؤخذ بها من فتاوىٰ التابعين، وفتاوىٰ التابعين أولىٰ من فتاوىٰ تابعيهم وهلم جرًّا ، فكلما كان العهد بالرسول ﷺ أقرب كان الصواب فيه أغلب،وهذا باعتبار جنس المسائل وليس باعتبار آحادها، فالتفاوت بين علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين»[1].

---

(١) انظر «إعلام الموقعين» (٤/ ٥٤٣-٥٤٤)، وللفائدة: «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (٢/ ٥٠٣- ٥٢٧) عثمان بن علي حسن.

مَن هم السلف

والسلف -لغةً-: أصل يدل علىٰ من تقدم وسبق ، والقوم السُلّاف؛ أي: المتقدمون[١].

واصطلاحًا: هم الصحابة والتابعون وتابعوهم- أصالة- ويدخل فيهم بالتبع كل من تقدمك ممن اتبع سبيلهم، وسار علىٰ طريقتهم[٢]، وإن تأخر به الزمان[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف»[٤].

ويقول الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «إن إمرار الصفات علىٰ ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[٥].

والدليل علىٰ أن السلف الذين يجب اتباعهم هم الصحابة والتابعون وتابعوهم ما رواه الشيخان من ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**خيرُ النّاس قرني، ثُمّ الّذين يلُونهُم، ثُمّ الّذين يلُونهُم، ثُمّ يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينهُ، ويمينُهُ شهادتهُ**»[٦].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ص٤٦٨)، و«ترتيب القاموس المحيط» (٢/ ٥٩٧) للطاهر الزاوي.

(٢) انظر «فصل المقال في وجوب اتباع السلف الكرام» (ص١١-٢٣) للأخ الدكتور أحمد صادق النجار- حفظه الله-.

(٣) انظر «شرح العقيدة السفارينية» (ص١٩-٢٠) للشيخ العثيمين - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

(٤) «الفتاوىٰ» (٦/ ٣٥٥).

(٥) «التحف في مذاهب السلف» (ص٤٥).

(٦) رواه البخاري (٦/ ٥٦١ - فتح) رقم (٢٦٥٢).

فالحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف، وهو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم، «والانتساب إلىٰ السلف انتساب إلىٰ من عصمهم الله في الجملة؛ إذ إجماعهم لا يجوز مخالفته ، ولهذا كان الانتساب إلىٰ السلف انتسابًا شريفًا لا محذور فيه»[١].

واعلم – علمني الله وإياك– أنَّ السير علىٰ فهم السلف فيه عصمة لفهم السنة علىٰ وجهها الصحيح، كما أن فهم السنة علىٰ وجهها الصحيح فيه عصمة لفهم القرآن، وفيه حسم مادة الابتداع والضلال، والعلمانيون وأدعياء الحداثة ينكرون فهم السلف من أجل أن يتلاعبوا بفهم القرآن علىٰ حسب ما تمليه عليه أهواؤهم -والحافظ الله-.

وهنا لا بد من قيد مهم يتعلق باتباع منهج التابعين وتابعيهم،وهو : أن يكون منهج التابعين موافقًا لمنهج الصحابة،سائرًا علىٰ طريقتهم.

يدل علىٰ هذا القيد أن الله -تعالىٰ- قد أثنىٰ علىٰ الصحابة ورضي عنهم ووعدهم بالجنة بلا قيد أو شرط، وأما التابعون فمدحهم والرضىٰ عنهم مشروط باتباع طريق الصحابة بإحسان.

قال الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

فالمراد بمنهج السلف الذي يجب اتباعه هو ما كان عليه الصحابة المرضيون

---

(١) «فصل المقال في وجوب اتباع السلف الكرام» (ص٢٣) د. أحمد صادق النجار.

وأعيان التابعين، ومن تبعهم من أئمة الدين ممن شهدت لهم الأمة بالفضل وعظم الشأن، بلزومهم الكتاب والسنة، دون من رمي منهم ببدعة أو تلبس منهم بمحدثة، فليس كل من كان في عصر التابعين وتابعيهم كان من السلف الصالح الذين يُتأسىٰ بهم، بل الشرط موافقة ما كان عليه الصحابة في الفهم والعمل.

❐ لماذا العقيدة علىٰ منهج السلف:

** العقيدة علىٰ منهج السلف لأن الله اصطفاهم لصحبة نبيه عليه السلام ونصرة دينه، والذب عن شريعته، وقد سبق حديث البخاري الذي قال فيه النبي ﷺ : «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...**».

** العقيدة علىٰ منهج السلف لأن النبي ﷺ أمر بالتمسك بطريقتهم.

ففي «المسند» من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ؟ فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : «**أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

** العقيدة علىٰ منهج السلف لأن الله ذم وتوعد من خالف طريقتهم بالعذاب الأليم.

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٩٧) في «المستدرك»، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦)، وهو في «الصحيحة» برقم (٩٣٧).

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

** العقيدة علىٰ منهج السلف لأن الاعتصام بطريقتهم نجاة[١].

فقد روىٰ الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال ... وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ما أنا عليه وأصحابي[٢].

وعلىٰ ما ذكرنا أجمع العلماء والأئمة نقل الإجماع علىٰ ذلك: ابن القيم وغيره -رحِمَ اللهُ الجَميعُ-.

❐ كيف يُعرف مذهب السلف:

يُعرف مذهب السلف من خلال الآثار المنقولة عنهم وليس بمجرد الدعوىٰ.

فالكل يدعي أنه علىٰ طريقة السلف، ولكن عند التفصيل والمطالبة بإقامة الدليل يُعرف المحق من المبطل.

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإ　　طلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ　　ـأذهان والآراء كل زمان

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وأما أهل الحديث فإنما يذكرون

(١) انظر «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة» (ص٥٤ - وما بعدها).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٢٦) برقم (٢٦٤١)، وحسَّنَهُ العلَّامةُ الألبانِيُّ في «صحيح الجامع» برَقْم (٥٣٤٣).

مذهب السلف بالنقول المتواترة يذكرون من نقل مذهبهم من علماء الإسلام وتارة يروون نفس قولهم في هذا الباب». اهـ[١].

ويقول الحافظ الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف: فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات[٢]، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما إن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال، فإن المراء في القرآن كفر»[٣].

□ الحق واضح، وسبيله معلوم:

ومن المحال أن يختلط الحق بالباطل اختلاطًا لا يتميز أحدهما عن الآخر، فالحق أعلام ومنارات، وقد أوضح الله الحجة وبين المحجة، فمن طلب الحق من مظانه صادقًا متجردًا عن الحظوظ والأهواء أصابه -بإذن الله- ولا بُدَّ.

ثم إن مذاهب وعقائد من أثنىٰ الله عليهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم موجودة مبثوثة في المصنفات والكتب المسندة، وهي تقطع الخلاف والنزاع بين المتخاصمين والمتنازعين.

«فعقيدة السلف الصالح عُني بتوثيقها وبيان أدلتها وشرحها جماعات من الأئمة الكبار في مصنفات كثيرة استقلالًا وضمنا، منها: المؤلفات الموسومة بـ«السنة» أي: المعتقد، وهي تربو علىٰ مئتين وخمسين مؤلفًا، منها:

(١) «الفتاوىٰ» (٤/ ١٥١-١٥٢).

(٢) آيات استواء الله -تعالىٰ- علىٰ عرشه.

(٣) «العلو للعلي العظيم» (١/ ٢٤٦-٢٤٧).

«السُّنَّة» لابن أبي شيبة، و«السُّنَّة» لأحمد بن حنبل، و«السُّنَّة» لابن أبي عاصم، و«السُّنَّة» لعبد الله بن الإمام أحمد، و«السُّنَّة» للخلال، و«السُّنَّة» لأحمد ابن الفرات أبي مسعود الرازي، و«السُّنَّة» لأسد بن موسىٰ، و«السُّنَّة» لمحمد بن سلام البيكندي، و«السُّنَّة» للأثرم، و«السُّنَّة» لحرب بن اسماعيل الكرماني، و«السُّنَّة» لابن أبي حاتم، و«السُّنَّة» لابن أبي الدنيا، و«السُّنَّة» لابن جرير الطبري، و«السُّنَّة» للطبراني، و«السُّنَّة» لأبي الشيخ الأصبهاني، و«السُّنَّة» لأبي القاسم اللالكائي، و«السُّنَّة» لمحمد بن نصر المروزي، و«السُّنَّة» للبربهاري، و«السُّنَّة» لأبي أحمد الأصبهاني المعروف بالعسّال، و«السُّنَّة» ليعقوب الفسوي، و«السُّنَّة» للقصاب، و«أصول السُّنَّة» لأبي بكر الحميدي، و«السُّنَّة» لحنبل بن إسحق.

ومنها: الموسومة بغير اسم (السُّنَّة) كـ: «الأصول» لأبي عمر الطلمنكي، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني، و«الإبانة» لابن بطة، و«التوحيد» لابن خزيمة، و«التوحيد» لابن مندة، و«التبصير في معالم الدين» لابن جرير، و«الصفات» و«الرد علىٰ الجهمية» لنعيم بن حماد، و«الإيمان» لابن أبي شيبة، و«الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سَلَّام، و«شرح السُّنَّة» للمُزَنِي، و«شرح مذاهب أهل السنة» لابن شاهين، و«الحجة في بيان المحجة» لِقِوَامِ السُّنَّة أبي القاسم الأصبهاني، و«أصول السُّنَّة» لابن أبي زمنين، و«الشريعة» للآجُرِّي، و«اعتقاد أهل السُّنة» لأبي بكر الإسماعيلي، و«الإيمان» لابن مندة، و«العرش» لابن أبي شيبة، و«القدر» لابن وهب، و«القدر» لأبي داود، و«الرؤية والصفات والنزول» للدارقطني، و«جواب أهل دمشق» للخطيب، وغيرها كثير.

وأيضًا كتب من جاء بعد هؤلاء من أهل السُّنَّة؛ كـ: كتب ابن عبد البر، وعبد الغني المقدسي، وابن قدامة المقدسي، وابن تيمية، وابن القيم، والذهبي،

وابن كثير، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم مما كُتِبَ في بيان المعتقد الصحيح، والاحتجاج له، والرد علىٰ أهل الأهواء»[١].

□ العبرة بما كان عليه جمهور السلف دون آحادهم وأفرادهم:

إنَّ فَهْمَ الصحابي حُجَّةٌ ما لم يخالف نصًّا أو يخالف فَهْمَ صحابيٍّ آخَر.

فإذا خالف قولُ الصحابي أو فهمُه نصًّا فلا عبرة به، وإذا خالف قولُه قولَ صحابي آخر فالعبرة بالأقرب منهما إلىٰ الدليل.

وأمّا من عداهم من السلف من التابعين وتابعيهم فالحجة بفهم جمهورهم الموافق لفهم الصحابة، وليست الحجة بفهم أفرادهم وآحادهم.

فمجاهد- مثلًا- وهو من الأئمة- قد خالف السلف في مسألتين كبيرتين:

الأولىٰ: قوله عند قوله -تعالىٰ-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]، قال: ناظرة: «تنتظر الثواب من ربها»[٢]، وهذا التأويل والتفسير مخالف لما عليه جماهير السلف من أن معنىٰ الآية : ناظرة إلىٰ ربها عيانًا بالأبصار[٣].

والثاني: قوله عند قوله -تعالىٰ-: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]

---

(١) «المعتقد الصحيح» (ص٧-١٠) للشيخ عبد السلام بن برجس - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٢٩/ ٢٢٩).

(٣) وقد أجمع علماء التفسير - عدا المعتزلة ومن جرىٰ في سلكهم- علىٰ أن قوله -تعالىٰ-: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] أنها تراه -سبحانه - عيانًا بأبصارها. انظر «عظم المنة في رؤية المؤمنين لربهم في الجنة» (ص١١-١٨) عبد الرحمن الأهدل.

قال: يُجلِسهُ معهُ علىٰ العرش[١]، وهذا قولٌ مُخالِفٌ لِلجماعةِ مِن الصّحابةِ ومن بعدهُم فالّذِي عليهِ العُلماءُ فِي تأوِيلِ هذِهِ الآيةِ أنّ المقام المحمود هو الشفاعة.

يقول الحافظ ابن عبد البر -كما في «التمهيد»- : «ولكِنّ قول مُجاهِد هذا مردُودٌ بِالسُّنّةِ الثّابِتةِ عنِ النّبِيِّ ﷺ وأقاوِيلِ الصّحابةِ وجُمهُورِ السّلفِ وهُو قولٌ عِند أهلِ السُّنّةِ مهجُورٌ والّذِي عليهِ جماعتُهُم ما ثبت فِي ذلِك عن نبِيِّهِم ﷺ وليس مِن العُلماءِ أحدٌ إِلّا وهُو يُؤخذُ مِن قولِهِ ويُترك إِلّا رسُولُ اللّهِ ﷺ».اهـ[٢].

◻ تَمَيُّزُ السَّلَفِ بعمق الفهم ودِقَّةِ الاستنباط النصي[٣]:

لا شك عند أصحاب البصائر أن الصحابة والتابعين وتابعيهم هم الأرسخ علمًا والأثبت دينًا، ولا شك أيضًا في أن من سار علىٰ طريقتهم في الفهم والاستنباط له النصيب الأوفىٰ من ذاك العلم، وذياك الرسوخ، كلٌ بحسبه.

وقد ظن بعض الناس أن المتأخرين لهم مزية علىٰ المتقدمين بكثرة مصنفاتهم وشروحاتهم،وحواشيهم وهذا -لعمر الله- جهل كبير، فكلام السلف قليل، ولكن فيه الخير والبركة، وكلام من جاء بعدهم كثير ولكن خيره قليل.

---

(١) وقد نسب ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هذه القول إلىٰ جماعة من أهل العلم منهم المروزي، وعبد الله ابن الإمام أحمد وإسحق بن راهويه، وبِشْر الحافي وغيرهم، إلا أنه قول مردود محجوج بالسُّنَّة الثابة عن رسول الله ﷺ والتي فسرت المقام المحمود بالشفاعة. انظر «الطبري» (١٥/ ١٦٨)، و«بدائع الفوائد» (٤/ ٢٩٦).

(٢) (٧/ ١٥٨).

(٣) انظر أمثلة علىٰ هذا في كتاب «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة» (ص٥٣٩- وما بعدها) د.ناصر الحنيني.

لذلك؛ يُخطئ من يدعي ويقول: إن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم، بل مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم، حيث إن السلامة لا تتأتىٰ إلا بالعلم والحكمة، وهذه المقولة الفاسدة إنما مؤداها نسبة الجهل لمذهب السلف، وأنه مذهب ساذج لا يقوم علىٰ التبصر في الحقائق والمعاني بينما مذهب الخلف من المتكلمين هو المذهب المتين الذي غاص في النصوص وسبر غورها، وعرف حقائقها ومعانيها، وليت شعري كيف يكون المخالفون أعلم بالله من خير القرون!!

ثم أي علمٍ وأي حكمةٍ هذه في مذهب أعلن حُذَّاقه ومنظَروه رجوعهم عنه قبل موتهم، وتبرأهم مما كانوا عليه؟!

يقول الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية أن تمنىٰ محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: هنيئًا للعامة».اهـ[1].

ويقول الحافظ ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في البيان لم يكن عيًا ولا جهلًا ولا قصورًا وإنما كان ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع».اهـ[2].

---

(١) «التحف في مذاهب السلف» (ص٤١).

(٢) «فضل علم السلف علىٰ علم الخلف» (٣/ ٣٤) ضمن مجموع رسائله.

□ للسلف منهج واضح في عرض الأدلة العقلية[(١)]:

لم ينصب السلف المناكدة والمعارضة بين العقل والنقل، بل كان موقف السلف من العقل مؤسسًا على أصول:

* إن الدليل العقلي الصحيح هو حجة ،ودليل يحتج به ويستدل به، يدل على ذلك أن الله -جل وعلا- قد رد على أهل الإشراك باطلهم وكفرهم بحجج وأقيسة عقلية.

من ذلك قوله -تعالى-: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤].

فالقادر على الإيجاد من العدم هو قادر بطريق الأولى على الإيجاد من بعد الفناء.

* ثُمَّ إن الأدلة العقلية الصحيحة على مسائل العقيدة لا بد أن يكون لها مستند من أدلة الكتاب والسنة، ولا يمكن أن يوجد دليل عقلي صحيح إلا وله من الشرع مستندٌ ولو على وجه الإجمال .

والدليل العقلي هو دليل شرعي وليس قسيما للدليل الشرعي، فهو داخل ضمن الدليل الشرعي، فالدليل الشرعي عند أهل السنة سمعي وعقلي.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ثم الدليل الشرعي قد يكون سمعيًا

---

(١) انظر في بيان هذا وأمثلته كتاب «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة» (ص٥٩١ - وما بعدها).

وقد يكون عقليًا، فإن كون الدليل شرعيًا يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلومًا بالعقل أيضًا، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه، فيكون شرعيًا عقليًا، وهذا كالأدلة التي نَبَّهَ اللهُ -تعالىٰ- عليها في كتابه العزيز، من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة علىٰ توحيده وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلىٰ المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية.

وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعيًّا سمعيًّا.

وكثير من أهل الكلام يظن أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا من هذا الوجه، ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين: العقليات، والسمعيات، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسُّنَّة.

وهذا غلط منهم، بل القرآن دل علىٰ الأدلة العقلية، وبَيَّنَها ونَبَّهَ عليها». اهـ[1].

◻ الأمثال في القرآن أقيسة عقلية:

ولهذا ضرب الله الأمثال في القرآن -وهي الأقيسة العقلية- لإثبات مسائل الغيب وتنبيها للعقول علىٰ إمكان وجودها فاستدل علىٰ النشأة الآخرة بالنشأة الأولىٰ، وعلىٰ خلق الإنسان بخلق ما هو أعظم منه وهي السماوات والأرض،

---

(١) «درء التعارض» (١/ ١٩٨)، وانظر «منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة» (ص٥٩٧ - وما بعدها).

وعلىٰ البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بإنزال الماء عليها، إلىٰ غير ذلك من الأمثال المضروبة في القرآن العظيم[١].

يُبيِّنُ هذا الأصل ابنُ القيِّم - رَحِمَهُ اللَّهُ- فيقول: «وقال -تعالىٰ-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١].

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا يوصل إلىٰ عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه -سبحانه- إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضىٰ بشركة الإله الآخر معه بل إن قدر علىٰ قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل وإن لم يقدر علىٰ ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضًا بممالكهم.

وإذا لم يقدر المنفرد علىٰ قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

١- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢- وإما أن يعلو بعضهم علىٰ بعض.

٣- وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

---

(١) انظر «درء التعارض» (١/ ٣٢- وما بعدها)، «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٨).

وانتظام أمر العالم العلوي والسُّفلي، وارتباط بعضه ببعض، وجريانه علىٰ نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل علىٰ أن مدبره واحد لا إله غيره، كما دل دليل التمانع علىٰ أن خالقه واحد لا رب له غيره فذاك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان». اهـ[١].

فالأدلة العقلية الصحيحة توافق ما أخبرت به الرسل، ولا تخالفه، ولو حصل تعارض بين الدليل العقلي المحض والدليل الشَّرعِي الخَبَرِي فهو إما لعدم ثبوت الدليل الشرعي، وإمَّا لفساد الدليل العقلي، فالدين بأصوله وفروعه لا يتعارض والمدركات العقلية الصحيحة، بل بينهما تعاضد وتأييد[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح فإنّ ما خالف العقل الصّريح فهُو باطلٌ وليس في الكتاب والسُّنّة والإجماع باطلٌ ولكن فيه ألفاظٌ قد لا يفهمُها بعضُ النّاس أو يفهمُون منها معنًىٰ باطلًا فالآفةُ منهُم لا من الكتاب والسُّنّة».

ويقول– رَحِمَهُ ٱللَّهُ– بعد كلام–: «فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي»[٣].

وهذا التقرير– أعني عدم خروج الأدلة العقلية عن أدلة الشرع – هو من لوازم

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤٦٢–٤٦٣).

(٢) «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٩).

(٣) «درء التعارض» (١/ ٨٠).

كمال الدين كما قال الله -تعالىٰ-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

مع التنبيه أنه لا يشترط إقامة الجواب العقلي المحض علىٰ مسائل العقيدة ففي أدلة الكتاب والسُّنَّة الهدىٰ والرشاد والهداية والسداد.

وفي هذا يقول الرازي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «بل أقر الكل أنه لا يمكن أن يزاد في تقرير الدلائل علىٰ ما ورد في القرآن»[1].

وتأمل في جواب موسىٰ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ. قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ. قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ .قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٤٩-٥٢] حيث لم يزد موسىٰ علىٰ ما أخبره الله به،والله الهادي لأقوم المسالك.

❑ منهج أهل السنة في تقرير العقيدة والرد علىٰ البدع:

وللسلف منهج واضح ومتين في تقرير مسائل العقيدة ، والرد علىٰ البدع ،حيث يقوم هذا المنهج علىٰ أصول :

أولاً : تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في جميع قضايا العقيدة، وعدم رد شيء منها أو تأويله.

ثانيًا : التمسك بما عليه الصحابة والتابعون.

(١) «ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان» (ص٢٠) لابن الوزير اليماني.

ثالثًا : ترك الخوض في قضايا العقيدة مما لا مجال للعقل فيه.

رابعًا: الإعراض عن أهل البدع، وترك مجادلتهم ومجالستهم ومناظرتهم إلا بالمقدار الذي تُحفظ به العقيدة من التحريف.

خامسًا: الحرص علىٰ جماعة المسلمين ، ووحدة كلمتهم.

وليس رد البدع وأبطالها من باب إثارة الفتن ،وتفريق الكلمة ، بل هو من أعظم أسباب جمع الكلمة، وتوحيد صف المسلمين، فإذا صحت العقيدة، وتوحدت بين جماعة المسلمين ثبت اجتماعهم وقوي، وإذا اختلفت عقائدهم كان اجتماعهم ضعيفًا مهزوزًا سرعان من يصيب أهلَهُ التفرقُ والشتات عند نزول الشدائد والمُلمات[1].



(١) مقدمة «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٥٣).

الأصول التي من خالفها فقد خرج عن طريقة السلف(١)

ومن المسائل المهمة أن يعلم طالب العلم الأصول التي من خالفها فقد خرج عن طريقة السلف.

❑ **المخالفة في مصدر التلقي**: وهو الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، وهم أهل القرون الثلاثة الأولىٰ، إذ إجماعهم هو المنضبط، وفهمهم هو المعتبر.

فأهل السنة يستمدون دينهم من الكتاب والسنة، وما عليه أئمة السلف، فلا يدينون لله بغير هذه الأصول، وهذا هو الفيصل بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدعة والفرقة.

قال الإمام أحمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وترك البدع»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع فهو من أهل السنة والجماعة»(٣).

ويقول الإمام البربهاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «والأساس الذي تُبنىٰ عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة فمن لم

(١) انظر رسالة «تبصير الخلف بضابط الأصول التي من خالفها خرج عن منهج السلف» للشيخ الدكتور أحمد صادق النجار- حفظه الله-، وما تحت هذا العنوان هو تلخيص لرسالته -جزاه الله خيرًا-.

(٢) «أصول السنة» للإمام أحمد ضمن كتاب «عقائد السلف» (ص١٩) فواز أحمد زرملي.

(٣) «الفتاوىٰ» (٣/ ٣٤٦).

يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار»[١].

وأهل البدع مخالفون لهذا الأصل وإن ادعو خلاف ذلك، فدعوىٰ التمسك بالكتاب والسنة سهلة علىٰ اللسان ولكن التطبيق هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه.

** فغلاة الصوفية- مثلًا- يقدمون المنامات، والكشف والعلم اللدني (الإلهام)، والعلم الباطن علىٰ الشرائع الثابتة، ويزعمون الأخذ مباشرة عن رسول الله ﷺ[٢].

** وأهل الكلام- أيضا- مخالفون لأهل السنة في مصدر التلقي، فهم يقدمون العقل علىٰ النقل ويجعلون الأدلة العقلية: «قواطع»، ويجعلون النصوص «ظواهر»[٣].

فمن ادعىٰ ثبوت شريعة أو حكم من غير طريق الكتاب والسنة فقد ضلَّ ضلالًا مُبينًا.

□ **المخالفة في أصلٍ كلي، أو في مسألة اعتقادية - أو عملية- اشتهر عند أهل السنة بموافقتها للكتاب والسنة والإجماع:** فمن خالف في أصل كلي لا جزئي[٤] أو

---

(١) «شرح السنة» (ص٦٧).

(٢) انظر «الاعتِصام» (١/ ١٥٤) للشَّاطِبِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، و«المصادر العامة للتلقي عند الصوفية -عرضًا ونقدًا-» صادق سليم صادق. و«منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٣٨- وما بعدها).

(٣) انظر «طريق الهجرتين» (ص٢٠٣) لابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ-.

(٤) إلا أن تكون المخالفة في جزئيات كثيرة حينها تدل علىٰ فساد في أصل كلي. انظُر «الاعتِصام» (٢/ ٤١٥-٤١٦) للشاطبيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

في مسألة كبرىٰ- علمية أو عملية- دلت عليها النصوص في الكتاب والسنة، وكانت مشتهرة عند السلف، فقد خرج عن هديهم ونُسب إلىٰ غيرهم.

واعْتَبِرْ لذلك بِمسألة التَّحسين والتَّقبيح العقلي؛ فإنَّ المُخالَفة فيها أنشأتْ بيْن المُخالِفين خِلافًا في فُروعٍ لا تنحصرُ، ما بيْن فُروع عَقائد، وفُروع أعمال[١].

ومن هذه المسائل -أيضًا-: الإلحاد في أسماء الله، والتكذيب بالقدر، وسب جمهور الصحابة، والغلو في الدِّين، والخروج علىٰ أئمة المسلمين، وإنكار المسح علىٰ الخفين وغير ذلك[٢].

وعليه فالبدعة التي يُعد بها الرجل من أهل الأهواء هي المُخالَفة في الكُلِّيّات والمسائل الكُبرىٰ، التي اشتهر عند أئمة السنة بمخالفتها للكتاب والسنة والإجماع.

لذا؛ فإن المخالفة في مسألة جزئية فرعية ، أو في مسألة قد تخفىٰ أدلتها لا تخرج المخالف من دائرة أهل السنة.

وقد سُئل الإمام أحمد عمن قال : أبُو بكرٍ وعُمرُ وعليٌّ وعُثمانُ ؟ فقال : ما يُعجبُني هذا القولُ ، قُلتُ : فيُقال : إنّهُ مُبتدعٌ ؟ قال : أكرهُ أنّ أُبدّعهُ ، البدعة الشّديدة ، قُلتُ : فمن قال : أبُو بكرٍ وعُمرُ وعليٌّ وسكت فلم يُفضّلُ أحدًا ؟ قال : لا يُعجبُني أيضًا هذا القولُ ، قُلتُ : فيُقال : مُبتدعٌ ؟ قال : لا يُعجبُني هذا القولُ[٣].

---

(١) أنَّ المُعتزِلَة أوجَبُوا علىٰ الله فِعل الأصلح بعُقولِهم، ومِنها أنَّهُم رتَّبُوا الثّواب والعِقاب قَبْل وُرُود الشَّرع، وأنَّ الحُجَّة تَقومُ علىٰ العِباد بدُون الرُّسُل. وانظُر «الاعتِصام» (٢/ ٤١٦) للشّاطِبيّ -رَحِمَهُ اللهُ-.

(٢) انظر «الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٠٥-١٠٦).

(٣) «السنة» (١/ ٣٧٨) رقم (٥٢٧) للخلال.

وقد نص شيخ الإسلام أن مسألة الخلافة هي التي يضلل فيها المخالف لانعقاد الإجماع عليها دون مسألة التفضيل التي وقع فيها خلاف بين السلف الأول.

يقول - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هذه المسألة ليست من الأصول التي يُضلل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة ، لكن المسألة التي يُضلل المخالف فيها مسألة الخلافة[١].

والحاصل أن من خالف في مصادر التلقي عند أهل السنة، أو خالف في أصل كلي، أو في مسألة اشتهرت بموافقتها لأدلة الكتاب والسنة فهو من أهل الأهواء وهذا من حيث الجملة، أعني من حيث الإطلاق دون التعيين .

❐ حُكم المُعيَّن إذا خالف أصلًا مِن أصول أئمة السَّلَف:

وأما تنزيل الحكم علىٰ المعين بالبدعة فإنه ليس كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه ، فإن من كان سلفيًّا في مصادر تلقيه واستدلاله وزلت قدمه في مسألة خالف فيها ما عليه السلف فإنه لا يُنسب إلىٰ البدعة ما لم يجعل ما أخطأ فيه أصلًا يوالي ويعادي عليه.

وكَثيرٌ مِن السَّلَف لهُم مقالات قالُوها باجتِهاد، وهي تُخالِف ما ثَبت في الكِتاب والسُّنَّة، ومع ذلك فإنهم لم يكونوا يوالون موافقهم لمجرد موافقته لهم في ذلك ، أو يعادونه لمجرد مخالفته لهم في ذلك[٢].

---

(١) «الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٣).

(٢) انظر «الفتاوىٰ» (٣/ ٣٤٩).

=

فهذا ابن خزيمة - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو الملقب «إمام الأئمة» - خالف السَّلَف[1] في حديث الصورة[2] التي وقع الإجماع عليها، واشتهرت موافقتها للكتاب والسنة، ومع ذلك لم يبدع.

وقد قال الحافظ الذهبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - مدافعًا عن ابن خزيمة -: «ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السُّنَّة.

وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة فَلْيُعْذَرْ من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا.. ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه»[3].

وتنزيل الحكم علىٰ المعين لا بد فيه من ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ،وسر المسألة أن الشخص المعين قد يتخلف عنه الذم أو الوعيد لفوات شرط أو وجود مانع، كاجتهاد ، أو تأويل سائغ، أو لعدم بلوغ الحجة، فبلوغ الحجة علىٰ وجهها الصحيح شرط في الحكم علىٰ الأعيان، وهذا بخلاف الحكم العام المطلق الذي لا

=

وقد أَصبحَ الوَلاءُ والبَراءُ في زمانِنا مَبنِيًّا -عندَ البعض- علىٰ تَزكِيَةِ فُلان أو جَرحِ عَلَّان، فمَن زَكَّاهُ فُلانٌ فهو المُقدَّم، ومَن جَرَحَهُ علَّان فهو المُذمَّم، وصارت المسائلُ الاجتِهادِيَّة في الجَرحِ والتّعديل عندَ أربابِ هذا المنهجِ شَرعًا ودِينًا لا يَحِلُّ الخُروجُ عنها بحال، وهي بِدعةٌ قَبيحةٌ، أَسألُ اللهَ أنْ يُجنِّبَ المُسلِمينَ شَرَّها.

(١) انظر «بيان تلبيس الجهمية » (٦/ ٣٧٧ - وما بعدها).

(٢) كما في «كتاب التوحيد» (١/ ٨١) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٧٤).

يتعلق بمعين وإنما يتعلق بالحكم علىٰ البدعة نفسها، ففرق بين الحكم علىٰ البدعة بكونها بدعة، وبين الحكم علىٰ صاحبها بأنه من أهل البدع والوعيد، فافهم هذا فإنه ضابط الفرق بين الإطلاق والتعيين.

يقول العلامة محمد بن صالح العثيمين - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وأما الخطأ في العقيدة : فإن كان خطأ مخالفًا لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يُحكم علىٰ صاحبه بالضلال حتىٰ تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة وأصرّ علىٰ خطئه وضلاله، كان مبتدعًا فيما خالف فيه الحق»[١].

والحاصل أن من سلم له الأصل الأول وهو مصدر التلقي ووقع بعد ذلك في بدعة فهذا لا يُنزّل عليه الحكم إلا بعد توافر الشروط وانتفاء الموانع، وأما من كان خلله في الأصل الأول فهذا ينزل عليه الحكم مباشرة، فهو لم يلتزم بالسنة أصلًا حتىٰ يُنسبَ إليها[٢]، والله الهادي.



(١) «كتاب العلم» (ص١٣٥).

(٢) «تَبصير الخَلَف بضابط الأُصول التي مَن خالفها خَرَجَ عن منهج السَّلَف» (ص٤٢) للدُّكتور أحمد صادق النَّجّار -حفظهُ اللهُ-.

وظيفة العقل في الإسلام

ليس هناك عقيدة تحترم العقل الإنساني وتكرمه وتعتمد عليه في فَهم نصوص الكتاب والسنة كالعقيدة الإسلامية.

وقد جعل الإسلامُ العقلَ مصدرًا من مصادر المعرفة والعلم في مجال المحسوسات، فلم يهمله أو يلغيه أو يهدر النتائج التي يتوصل إليها كما هو حال الديانات الأخرىٰ، ومع ذلك فللعقل حد ينتهي إليه ونهاية يقف عندها،إذ لا يمكن للعقل أن يستقل بمعرفة الغيبيات من غير طريق الوحي، فوظيفة العقل في باب العقيدة هي الفهم، والتدبر، والتسليم لما جاء في الكتاب والسنة، وهذا يحثنا - لُزومًا - علىٰ الحديث عن مجالات العقل، وحدوده فنقول:

«إن جمهور الخلق يَعلَمُ ويُقِرُّ أنّ العوالمَ قسمان -أو نوعان-:

١- عالَم الشهادة: وهو هذا العالم الذي نعيش فيه، وندرك حقائقه بحواسنا، وقد حث الشرع الإنسان أن يتأمل بعقله ويجول بفكره في هذا العالم المشاهد، حتىٰ يرىٰ عظيم قدرة الصانع -سبحانه-، مما يكون معينًا له علىٰ الترقي في مراتب الإيمان ومنازله، كما قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

فهذه الآية، تحث العقل علىٰ التفكر في هذا الكون والتأمل فيه، فهذا هو مجال العقل ومَدرَكُه الذي يملك أدوات التعامل معه وهي الحواس، إذ ليس في الكون ما هو غريب علىٰ العقل فهمه وإدراكه(١).

---

(١) انظر «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٤).

فموقف السلف من العقل مؤسس علىٰ إدراك كامل بطاقته ولكن في عالمه ومجاله، وهو عالم الشهادة، لأن مُتَعلقه وروافده هي الحواس، فمن فقدها أو شيئًا منها فإنه لن يدرك شيئًا إلا علىٰ جهة التخيل.

٢- **عالم الغيب**: وهو ذلك العالم العلوي الذي غاب عنك إدراكه والعلم بحقائقه وكيفياته، وعدم التفريق في مطلب الشرع من العقل بين عالم الشهادة وعالم الغيب، هو المزلق الخطير الذي أوقع المتكلمين فيما وقعوا فيه من التناقض تارة، والاضطراب تارة، والشك والحيرة تارة أخرىٰ، فهؤلاء قد أطلقوا للعقل العنان، فلم يعرفوا له حدودًا أو غايات ينتهي إليها أو يقف عندها.

بينما تجد أن منهج القرآن والسُّنَّة وما عليه أهل الإجماع يقرر ويحدد للعقل مجالاته وحدوده وهو عالم الشهادة وعالم المحسوسات دون عالم الغيب الذي انقطعت بينه وبين العقل الروافد والسبل إلا من خلال خبر المعصوم، فمنهج السلف قائمٌ في هذا الباب علىٰ توظيف العقل فيما خُلِق له من التفكر والتدبر في عالم الشهادة، والذي هو مسرحه ومجاله.

وأما في عالم الغيب فهو متعلمٌ يأخذ العلم ويتلقاه بالتسليم من مصادره من الكتاب والسنة، فالعقل يملك أدوات البحث والتعرف علىٰ عالم الشهادة، ولكنه في ذات الوقت يفقد جميع الأدوات التي يتعرف بها علىٰ عالم الغيب إلا من مصدر واحدٍ كما ذكرنا وهو الوحي»[1].

«فالعقلُ مصدرٌ من مصادر المعرفة إلا أنه في المطالب الدينية يحتاج إلىٰ هداية

---

(١) انظر كتاب «منهج السلف بين العقل والتقليد» (ص ٥١ - وما بعدها) د. محمد الجليند.

الشرع وإرشاده لإن الاعتماد علىٰ محض العقل سبيل للتفرق والتنازع كما هو حال الفلاسفة والمتكلمين،إذ لا تكاد تجد مسألة - حتىٰ التي يسمونها قطعيات - إلا واشتد بينهم فيها النزاع وعظمت بسببها الخصومة(١)، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطه المستقيم.



(١) انظر «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (١/ ١٨١).

التوحيدُ - فضلُه وأَقسامُه-

◻ فضلُه:

وعِلْم التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق، وهو أكملها وأفضلها، فبه تستقيم القلوب على الأحوال الإيمانية الصحيحة،وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل(١). ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ما تزكو به النفس، وكان الشرك أعظم ما يُدسِّيها(٢).

لذلِك؛ قالَ مُوسَىٰ لِفِرعون -وهو يَدعُوه إلىٰ التَّوحيد-: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ . وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[النازعات:١٨-١٩].

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

«وهذا باب واسع فلا يعرف في دين الأنبياء و المرسلين وأتباعهم من الأولين و الآخِرين ولا كُتب رب العالمين أمرًا أعظم من التوحيد، وهو أول الكلمات العشر التي في التوراة و نظيرها الوصايا العشر التي في آخر الأنعام»(٣).

و أهل التوحيد هم المستحقون للشفاعة يوم القيامة كما ثبت في «الصحيح» أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ:

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص٢١) للعلامة السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

(٢) «الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٣٢).

(٣) وهي الآيات من قوله -تعالىٰ-: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[الأنعام: ١٥١].... إلىٰ قوله -تعالىٰ-: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:١٥١].

(يا أبا هريرة! لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه)». اهـ[1].

وقبل الكلام عن أنواع التوحيد وأقسامه لا بد من العلم بأن للتوحيد دليلٌ على تقسيمه ودليل على أقسامه.

❑ دَليلُ تَقسيم التَّوحيد:

فأما دليل تقسيمه[2] فهو استقراء [3] نصوص الكتاب العزيز، فما من آية من آيات الكتاب إلا وتدل على ألوهيته أو ربوبيته أو على أسمائه وصفاته.

يقول الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ اللهُ-: «وَاعْلَم أَن إِيرَاد الْآيَات القرآنية على إِثْبَات كل مقصد من هَذِه الْمَقَاصِد وَإِثْبَات اتِّفَاق الشَّرَائِع عَلَيْهَا لَا يحْتَاج إِلَيْهِ من يقْرَأ الْقُرْآن الْعَظِيم؛ فَإِنَّهُ إِذا أَخذ الْمُصحف الْكَرِيم وقف على ذَلِك فِي أَي مَوضِع شَاءَ وَمن أَي

(١) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (ص ١٤٦-١٤٧)، والحديث رواه البخاري (١/ ٢٥٥- فتح) رقم (٩٩).

(٢) أي: تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

(٣) والاستقراء نوعان: تام وناقص، والتام هو: تتبع جميع الجزئيات في موضوع ما للخروج بحكم كلي وقاعدة عامة،وهو حجة في موضوعه.

مثاله: استقراء النحاة لكلام العرب وأنه لا يخرج عن كونه اسمًا أو فعلًا او حرفًا، وكذلك استقراؤهم لحركة الفاعل وانه مرفوع دائما فقالوا: كل فاعل مرفوع. والاستقراء الناقص: هو تتبع بعض الجزئيات في موضوع ما للخروج بحكم ظني أو أغلبي. انظر «أضواء البيان» (٣/ ٣٠٤).

مَكَان أحب وَفِي أَي مَحل مِنْهُ أَرَادَ ووجده مشحونا بِهِ من فاتحته إِلَىٰ خاتمته»[١].

❑ دَليلُ أقسام التَّوحيد:

وأما دليل أقسام التوحيد، ونعني به مستند كل نوع من أنواعه فهو نصوص الكتاب العزيز، ومن أجمع الآيات التي فيها إثبات أنواع التوحيد الثلاثة قول الله -تعالىٰ-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

فهذه الآية قد اشتملت علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة[٢].

❑ تَعريفُ التَّوحيد وأنواعه:

التوحيد: هو إفراد الله -تعالىٰ- بما اختص به نفسه، وهو نوعان:

أولها: توحيد المعرفة والإثبات[٣] ويدخل فيه:

١- توحيد الربوبية؛ وهو: الاعتقاد الجازم بان الله وحده الخالق والرازق والمحيي والمميت،والمدبر والمتصرف في شؤون خلقه لا شريك له في ذلك،وهذا التوحيد أقرت به سائر الأمم إلا شرذمة من البشر.

يقول العلامة المقريزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره

---

(١) «إرشاد الثقات إلىٰ اتفاق الشرائع علىٰ التوحيد والمعاد والنبوات» (ص٤).

(٢) انظر «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» (ص٨٤ - وما بعدها).

(٣) وسُمِّي بذلك لأن المطلوب من العبد فيه هو أن يعرفَ ويعتقدَ ويُثبتَ لله ما يتعلق بهذا النوع من التوحيد.

المشركون،بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله،وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة،كما قد حكىٰ الله -تعالىٰ- عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...﴾ [البقرة:١٦٥] فلما سوّوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله -تعالىٰ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١]. أي : يُسوُّون غيره به.

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١٥٠].

... فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق:مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين».اهـ[1].

٢- توحيد الأسماء والصفات؛ وهو: الاعتقاد الجازم بما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحميدة والصفات المجيدة علىٰ ما يليق بجلال الله وكماله، من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تحريف أو تعطيل.

قال اللهُ -عزَّ وجل-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ثانيها: توحيد الطلب والقصد[2]؛ وهو نوع واحد :

وهو : إفراده - سبحانه- بالألوهية؛ أي: إفراده وحده بالخضوع والذل

(١) «تجريد التوحيد المفيد» (ص٤٠-٤١).

(٢) وسمي بذلك لأن المطلوب فيه من العبد هو التوجه والقصد بالتعبد لله -جل وعلا-، وطلب الزلفىٰ عنده -سبحانه-.

والمحبة وسائر أنواع العبادة لا شريك له .

وهذا التوحيد هو الذي بعث الله به الرسل أجمعين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من أولهم إلىٰ آخرهم من أجل تحقيقه وتثبيته،وفيه المعركة بين معسكر التوحيد والإيمان، ومعسكر الشرك والكفران، وبسببه انقسم الناس فريقين فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ- : «والقرآن عامته هو في تقرير هذا الأصل العظيم، الذي هو أصل الأصول».اهـ[٢].

---

(١) يقول أحمد زيني دحلان في «الدرر السنية» (ص٣٧): «..واما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فباطل أيضًا فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية».اهـــ.
قلت: بل قوله الباطل، فإن نصوص الكتاب العزيز متواردة متكاثرة في الإخبار عن إقرار المشركين بالله ربًّا وخالقًا ومدبرًا.
ثُمَّ إنَّ ما ذكرَه دَحلان مُخالفٌ لدلالة اللغة، فـ(الرب) و(الإله) معنيان متغايران، وهذا متفق عليه عند أهل الشأن وأئمة اللغة.
ودحلان وأمثاله من المعاصرين حين لَمْ يُفرِّقوا بيْن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فيجعلونهما شيئًا واحدًا وهو الأقرار بوحدانية الله -تعالىٰ- في الخلق والتدبير ،هم بذلك يخالفون صريح القرآن ومقتضىٰ اللغة ،وهم بهذا لا يرون في صرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوها من العبادات لغير الله مخالفة للتوحيد ما دام الاعتقاد قائمًا علىٰ تفرد الله بالربوبية، ولذلك انفتحت عليهم أبواب من الشرك المطابق لما كان عليه أهل الجاهلية الأُولىٰ وهو يظنونه تعظيمًا لشعائر الله، وهو شرك بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انظر «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة» (١/ ٢٠١-٢٢٩).ونقض خلطهم هذا بين نوعي التوحيد تراه في (١/ ١٧٣ - وما بعدها) من المرجع السابق.
(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٢٨).

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان:

١- توحيد في المعرفة والإثبات.

٢- وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول هو حقيقة ذات الرب -تعالىٰ- وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سمواته علىٰ عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح كما في أول سورة الحديد وسورة طه وآخر سورة الحشر وأول سورة تنزيل السجدة وأول سورة آل عمران وسوة الإخلاص بكمالها وغير ذلك.

النوع الثاني مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤] -الآية-، وأول سورة ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وآخرها، وأول سورة ﴿يُونُسَ﴾ ووسطها وآخرها، وأول سورة ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ وآخرها، وجملة سورة ﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾، وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد بل نقول قولًا كُليًّا إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء

توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم فـ: ﴿الحمد لله﴾ توحيد ﴿رب العالمين﴾ توحيد ﴿الرحمن الرحيم﴾ توحيد ﴿مالك يوم الدين﴾ توحيد ﴿إياك نعبد توحيد وإياك نستعين﴾ توحيد ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلىٰ طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين فارقوا التوحيد ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]». اهـ[١].

◻ إنكار تقسيم التوحيد جهلٌ وضلال:

ثم إن إنكار تقسيم التوحيد، والخلط بَيْنَ معانيه لهو الجهل والضلال المبين، فنصوص الكتاب العزيز تدل عليه، وهذا التقسيم وإن كان قد عُرف بألفاظه وأسماءه المعروفة في الأزمنة المتأخرة عن القرن الأول إلا أن معانيه مستقرة في قلوب السلف، واستعمالاتهم وتصرفاتهم تدل علىٰ ذلك.

وأما الزعم بان هذا التقسيم من ابتداع ابن تيمية فهو كذب فاضح وافتراء واضح، حيث تكلم به وأثبته - صراحة أو إشارة - جماعات من الأئمة قبل ابن

(١) «مدارِج السَّالكِين» (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

تيمية منهم الإمام أبو حنيفة والقاضي أبو يوسف،وابن جرير الطبري،وابن بطة وابن مندة[1]. وغيرهم.

يقول ابن بطة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (٣٨٧هـ) : «... وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب علىٰ الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أنَّ كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده.

ولأنَّا نجد الله -تعالىٰ- قد خاطب عباده بدعائهم إلىٰ اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأمَّا دعاؤه إياهم إلىٰ الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأنَّ الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات

---

(١) انظر «القول السديد في الرد علىٰ من انكر تقسيم التوحيد» (ص٣٠-٤٤) د. عبد الرزاق البدر.

قد أبطل دعواه لهما ...»[١].

وأما الزعم بأن تقسيم التوحيد هو من جنس قول النصارىٰ بالتثليث فهو قول خارج عن حَدِّ العلم فلا حاجة لرده ونقضه[٢].

❑ معنىٰ كلمة التوحيد- لا إله إلا الله -:

وهذه مسألة جليلة القدر عظيمة النفع لمن تأمل، وذلك لما يترتب علىٰ الغلط فيها من كفر صريح وشرك قبيح،حيث إن تحقيق ما هو شرك وما ليس بشرك متوقف علىٰ تحقيق معنىٰ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

فمعنىٰ «لا إله إلا الله»؛ أي : لا معبود بحق إلا الله، أو لا معبود حق إلا الله.

فـــ«لا» هي النافية للجنس لا محل لها من الإعراب، و«إله» إسمها، وأما خبرها فمقدر محذوف وهو «حق» إذ لا يصح تقديرها إلا بهذا لأن المعبودات الباطلة كثيرة، و«إلا» أداة استثناء، ولفظ الجلالة «الله» مستثنىٰ منصوب، ويصح رفعه باعتباره بدلا من المقدر المحذوف «حقٌّ» .

يقول ذهبي عصره العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي-رحمه الله تعالىٰ-:

«فإني تدبرت الخلاف المستطير بين الأمة في القرون المتأخرة في شأن الاستعانة بالصالحين والموتىٰ وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء وزعم بعض الأمة في كثير من ذلك أنه شرك وبعضها أنه بدعة

(١) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة».

(٢) انظر «القول السديد في الرد علىٰ من انكر تقسيم التوحيد» (ص٣٠).

وبعضها أنه من الحق ورأيت كثيرا من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيين والجن بما يطول شرحه وبعضه موجود في كتب التنجيم والتعزيم كـ«شمس المعارف»[(١)] وغيره وعلمتُ أن مسلمًا من المسلمين لا يُقدم علىٰ ما يعلم أنه شرك ولا علىٰ تكفير من يعلم أنه غير كافر ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك فإذا هو- بالاتفاق؛ اتخاذ غير الله -عز وجل- إلهًا من دونه أو عبادة غير الله -عز وجل- فاتجه النظر إلىٰ معنىٰ (الإله والعبادة) فإذا فيه اشتباه شديد، فإن المعروف في تفسير (إله) قولهم :(معبود) أو: (معبود بحق) ومعنىٰ العبادة مشبته جدًا فعلمتُ أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف وإذا الخطر أشد مما يُظن لأن الجهل بمعنىٰ (إله) يلزمه الجهل بمعنىٰ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة من قبل؛ قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]»[(٢)].

والإله؛ هو: المألوه الذي تألهه القلوب، بالمحبة، والخضوع،والانقياد، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من: الرغبة، والرهبة، والتوكل، والاستغاثة، والدعاء، والذبح، والنذر، والسجود؛ وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ؛ فهو إله، بمعنىٰ: مألوه، أي: معبود، كما تقول : كتابٌ بمعنىٰ مكتوب.

(١) «شمس المعارف ولطائف العوارف» لاحمد بن علي بن يوسف البوني، والمتوفّىٰ سنة (٦٢٢). وهو من كتب السحر المشهورة المتداولة -وللأسف-. وانظر «كشف الظنون» (١٠٦٢).

(٢) «رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله» (٢/ ٣-٤).

وسائر أهل اللغة على أن هذا هو معنى الإله[١].

يقول الجوهري: «أَلَـهَ بالفتح، إلهةً، أي: عبدَ عبادةً، قال: ومنه قولنا: الله، وأصله: إله.

قال رؤبة:

لِلَّـهِ دَرُّ الغانيـاتِ المُـدَّهِ سَبّحنَ واسترجَعنَ من تَأَلُّهِ»[٢].

قال صاحب «القاموس»: «أَلَـهَ، إلهَـةً، وأُلوهَـةً: عَبَـدَ، عبادةً؛ ومنه لفظ الجلالة»[٣].

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين -رَحِمَهُ اللهُ- : «وجميع العلماء من المفسرين، وشراح الحديث، والفقهاء، وغيرهم، يفسرون الإله بأنه: المعبود وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرَهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون»[٤].

---

(١) يقول العلامة المقريزي : «ولهذا كان أصل (الله): (الإله)، كما قال سيبويه وهو الصحيح،وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذ منهم». اهـ . «تجريد التوحيد المفيد» (ص٤١).

(٢) «مجموع أشعار العرب»، وهو مشتمل على (ديوان رؤبة بن العجاج) ص(١٦٥)، وانظر «الكامل» لابن المبرد (٢/ ١٠٥١)، و«لسان العرب» (١/ ١٩٨).

(٣) انظر «ترتيب القاموس المحيط» (١/ ١٧٣) للطاهر أحمد الزاوي، وانظر -للفائدة-: «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله» (٢/ ٣٨٧ - وما بعدها).

(٤) انظر «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٩٦-١٩٧)، و«شبهات المبتدعة في توحيد =

وفي بيان المعنىٰ -نفسه- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وليس المراد (بالإله) هو القادر علىٰ الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة علىٰ الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر علىٰ الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون... بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يعبد فهو (إلهٌ) بمعنىٰ (مألوه)؛ لا (إله) بمعنىٰ (آله).

والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك؛ أن يُجعل مع الله إلها آخر، وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار؛ أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلىٰ السنة إنما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون... ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلمًا فضلًا عن أن يكون وليا لله أو من سادات الأولياء». اهـ[1].

☐ أَهلُ السُّنَّة مُتَّفِقون علىٰ أنَّ معنىٰ (الإله) هو (المعبود):

وبهذا يتبين لك أن أهل السنة متفقون علىٰ أن معنىٰ (الإله) هو: (المعبود)، وبنظرة - ولو عَجلىٰ- في كتب التفسير نجد ظهور هذا المعنىٰ بجلاءٍ لا يخفىٰ إلا علىٰ غارق في ظلمات جهله،أو مغلوب بهواه علىٰ أمره[2].

=

العبادة» (١/ ١٤٢).

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٠١-١٠٢).

(٢) وانظر «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة» (١/ ١٤٣).

وفي هذا يقول الرازي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسىٰ : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة وخالقًا ومدبرًا ، لأن الذي يحصل بجعل موسىٰ وتقديره : لا يمكن أن يكون خالقًا للعالم ومدبرًا له ، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يعين لهم أصنامًا وتماثيل يتقربون بعبادتها إلىٰ الله -تعالىٰ-، وهذا القول هو الذي حكاه الله -تعالىٰ- عن عبدة الأوثان حيث قالوا : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزُّمَر:٣]»[1].

❑ أهل الكلام وتفسير كلمة التوحيد:

وأهل الكلام لهم في تفسير التوحيد وأقسامه استعمال خاص يخالفون فيه طريقة أهل السنة المحضة حيث يجعلون مدار التقسيم علىٰ توحيد الربوبية وتوحيد الأفعال وتوحيد الصفات، ويفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فيجعلونهما شيئًا واحدًا دالًّا علىٰ معنىٰ الربوبية.

يقول الشهرستاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية[2]: إن الله -تعالىٰ- واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[3].

---

(١) في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٠).

(٢) **الصفاتية**: مصطلح يُطلق في مقابلة النفاة ويدخل فيه من أثبت جميع الصفات علىٰ ما يليق بجلال الله،وهم السلف ، ويدخل فيه أيضًا من أثبت بعض الصفات كالأشاعرة والماتريدية،فهؤلاء قد يطلق عليهم الصفاتية علىٰ اعتبار أنهم أثبتوا من الصفات أكثر مما أثبت أصولهم كالمعتزلة والجهمية.

(٣) «الملل والنحل» (١/ ٥٥)، وانظُر في نَقْضِهِ: «تقريب التدمرية» (ص١١٨) للعلَّامة =

ويقول عضد الدين الإيجي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: المرصد الثالث في توحيده - تعالىٰ- وهو مقصد واحد وهو أنه يمتنع وجود إلهين[(١)].

وحين يقرر عامة المتكلمين أن غاية التوحيد هو إثبات الصانع، ويفسرون (الإله) بـ(القادر علىٰ الاختراع) [(٢)] فإنهم يبنون علىٰ هذا الأصل الفاسد أنه لو استغاث المستغيثون ولاذ اللائذون بالأنبياء والصالحين، مع اعتقادهم بأن الله هو القادر المدبر والمتصرف فإن ذلك لا يكون شركًا، حيث إن تمام التوحيد -عندهم- هو توحيد الربوبية،وقد سبق أن هذا التوحيد ليس هو التوحيد الذي دعا إليه الانبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وليس هو التوحيد الذي يُنْجي من الخلود في النار، فتوحيدهم الذي يقررونه قد أقرت به الأمم جمعاء إلا شرذمة.



=

العُثَيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ-، و«التّوضيحات الأثرية علىٰ مَتن الرسالة التدمرية» (ص٣١٣) للدكتور فخر الدِّين المحسي.

(١) «المواقف» (٣/ ٦٠)، وانظر «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية» (ص٣٤-٣٦) لآمال بنت عبد العزيز العمرو.

(٢) وقد خالف بعض الأشاعرة وأشار إلىٰ توحيد الألوهية، منهم الباقلاني حيثُ قال: «والتوحيد له؛ هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله معبود، ليس كمثله شيء»، وبنحو هذا المعنىٰ قال الجويني، والحليمي، وهذا خلاف ما يقرره عامة علمائهم ونظارهم، وانظر «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» (ص١١٣-١١٤).

العبودية والعبادة : حقيقتها - تعريفها - آثارها

❐ **حقيقتها:**

حقيقة العبادة -وأصلها- إنما يقوم على الذل والخضوع والانقياد.

وقد جاء في «لسان العرب»: «وأصل العبودية الخضوع والتذلل»[(١)].

وجاء في «مختار الصحاح»: «وأصل العبودية : الخضوع والذل، والتعبيد التذليل، يقال : طريق معبد»[(٢)]؛ أي : مذلل مسخر.

ويقول الشيخ أبو الثناء الألوسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «**العبادة** : هي أعلى مراتب الخضوع»[(٣)].

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخميصة؛ إنْ أُعطِي رضي، وإنْ لَمْ يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طُوبى لعبدٍ آخِذٍ بعَنان فَرَسِه في سبيل الله أَشْعَثٌ رأسُهُ مُغبرَّةٌ قدماه، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في الساقة، وإنِ استأذنَ لَمْ يُؤذَن لَهُ، وإنْ شَفِعَ لَمْ يُشفَّع**»[(٤)].

وتأمل كيف جعل النبي ﷺ هؤلاء عبيدًا لهذه المخلوقات الجامدة التي لا

---

(١) «لسان العرب» (٦/ ٤٨).

(٢) «مختار الصحاح» (١٧٢).

(٣) «روح المعاني» (١/ ٣٩).

(٤) رواه البخاري (٦/ ١٠٠) رقم (٢٨٨٧).

روح فيها، والصارفة لهم عن عبوديتهم لمعبودهم الحق -سبحانه- حيث لم يُخلقوا لتتعلّق قلوبهم بتلك المخلوقات ولا فُطِروا علىٰ ذلك بل فطرت قلوبهم علىٰ محبة الحق -سبحانه- والتعلق به، وإرادة وجهه الكريم.

❏ **تعريفها:**

والعبادة؛ هي: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[1].

ويُمكن أن يقال: هي خضوع اختياري يطلب به نفع غيبي[2].

وأما **العبودية؛** فهي: التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه علىٰ الوجه الذي جاءت به الشريعة[3]. فهي حالٌ من اجتماع العبد مع عبادته علىٰ أكمل الأحوال التي يحبها الله ويرضاها.

فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله،-مما ثبت في الشرع أنه عبادة- فقد عبد ذلك الغير، سواء اعتقد فيه صفة من صفات الإله، أو لم يعتقد، أو اعتقد فيه النفع والضر استقلالًا أو لم يعتقد، فذاك الصرف عبادةٌ بذاتِهِ، بصرف النظر عن أي قيد أو شرط.

---

(١) «العبودية» (ص ٦) - مع شرحها للراجحي-.

(٢) انظر «رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله» (٣/ ٧٣٣) للعلامة اليماني - ضمن مجموع آثاره - رَحِمَهُ اللَّهُ-.

(٣) «مجموع فتاوىٰ العلامة محمد بن صالح العثيمين» (١/ ٨٨).

❐ من آثار العبودية:

فإذا تبين لك ما سبق فاعلم أن من أعظم آثار العبودية التي يجدها من كمّل العبودية في قلبه هي انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وراحة البال، وأعظم من ذلك كله الأنس بالله -سبحانه-، والذي يتحقق للمؤمن نتيجة خلوّ قلبه من غير ربه -سبحانه-.

وليس المعنىٰ أن المؤمن لا يغتم ولا يصيبه الهم، فهذا أمر لا بد منه في الحياة الدنيا، لكنه عارض لا يطول، وإن طال فإنه يصاحبه صبر وثبات واحتساب ودعاء، فيزداد المؤمن إيمانًا ،ويترقىٰ عندها في منازل السائرين إلىٰ الله، ويفوز حينها بالظفر.

كما أنَّ الكافرَ قد يُسَرّ في حياته الدنيا لكن سروره عارض تعترضه المنغصات والأكدار، وذلك بسبب خلو قلبه عن مادة حياته وهي عبودية الحق -سبحانه- .

❐ أهلُ الكَلام وتفسير العبادة:

وأما المخالفون لأهل السنة فلهم في تعريف العبادة سبيل آخر غير سبيل المؤمنين،حيث يشترطون في العبادة حتىٰ تكون عبادة شرطين:

١- اعتقاد الألوهية في المعبود واستحقاقه العبادة.

٢- اعتقاد التأثير المستقل لذلك المعبود[١].

---

(١) «الدرر السنية في الرد علىٰ الوهابية» (ص٣١-٣٢)، وانظر الرد عليه في : «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة» (١/ ١٥٤).

وبناءً علىٰ هذا التقييد الفاسد؛ فإنهم يُقرِّرون: أنه لا يعتقد أحدٌ من المسلمين ألوهية غير الله،ولا تأثير أحدٍ سوىٰ الله، فانتفىٰ الشرك عن الأمة بهذا، والحمد لله رب العالمين!!!

يقول أحمد زيني دحلان - في تعريف الدعاء الذي يكون عبادة -: «وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة، فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه»[(١)].

❐ أركان العبودية:

للعبودية ركنان لا تقوم بدونهما :

١- كمال المحبة : فمحبة الله ورسوله ﷺ هي أساس الدين، والركن المتين، وعنها تتفرع جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، وهذه المحبة لا يُكتفىٰ فيها بأصلها، بل لا بد من تحقيقها بكمالها، وقد روىٰ الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[(٢)].

وروىٰ البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا

(١) «الدرر السنية في الرد علىٰ الوهابية » (ص٣١). وانظُر -في تفصيل أنواع الطلب ومتىٰ يكون عبادة- كتاب: «الاستغاثة بالله أشرف مطلوب، وصرفها لغيره -تعالىٰ- أعظم الذنوب» (ص٨٩-٩٣) للعبدِ الفقير راقم هذه الكلمات.

(٢) «مسلم» (٢/ ٢٠٦ - نووي) رقم (١٦٧).

من نفسي، فقال النبي ﷺ : «**لا والذي نفسي بيده حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال عمر: فإنه الآن، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

والمؤمن لا يجد حلاوة الإيمان حتىٰ يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

ففي «الصحيحين» من حديث أنس أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢).

والمطلوب من العبد في باب المحبة والعبودية ثلاثة أمور :

** **تكميلها**: وذلك بأن يسعىٰ في تكميلها وتتميمها في نفسه،يدل عليه قوله ﷺ: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**».

** **تفريعها**: وذلك بمحبة أهل الإيمان ، يدل عليه قوله ﷺ: « **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**».

** **دفع ضدها، وما يعارضها، أو ينقصها**: يدل عليه قوله ﷺ: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

٢- كمال الذلة والتعظيم: فلا يكون العابد عابدًا لله حتىٰ يجمع بين كمال محبته لله وكمال ذله وتعظيمه بين يديه -سبحانه-، فهذا تمام العبودية وكمالها.

---

(١) «البخاري» (١١/ ٦٣٧- فتح) رقم (٦٦٣٢).

(٢) «البخاري» (١/ ٨٣- فتح) رقم (١٦)، و«مسلم» (٢/ ٢٠٤- نووي) رقم (١٦٣).

فمن أحب غير الله حب ذلٍ وخضوع،فقدم طاعة ذلك الغير علىٰ طاعة الله،وآثر محابه علىٰ محاب الله ومراضيه فقد جعله لله ندا،وصار بذلك مشركًا شرك المحبة.

كما أن من عظّم غير الله كتعظيمه لله كان هذا التعظيم شركًا، وذلك كمن يحلف بغير الله معظمًا المحلوف به في قلبه كتعظيمه لله.

□ المؤمن عابد لله في كل أحواله:

تتنوع العبادة وتتعدد لتشمل حياة المسلم كلها، فالمؤمن يستحضر أنه عبد لله في كل أحواله.

وطالب العلم الفقيه يجاهد نفسه في إصلاح نيته حتىٰ تنقاد له في جميع الأعمال والأحوال لتصل إلىٰ المباحات،فيصير المباح في أصله قربة وطاعة يتقرب بها العبد عند ربه، فهو إذا أكل نوىٰ بأكله التقوي علىٰ الطاعة، وإذا نام نوىٰ بنومه الإستقواء علىٰ محاب الله ومراضيه، وإذا ذهب إلىٰ عمله نوىٰ بذلك إعفاف نفسه وأهله عن السؤال.

فالله -جلَّ وعلا- لم يقصر وصف الصلاح علىٰ العبادات المخصوصة كالصلاة والصيام والزكاة والحج بل جعله شاملا لجميع الأعمال إذا ما أحسن العبد فيها النية.

قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ .وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

[التوبة: ١٢٠-١٢١].

وروىٰ مسلم من حديث أبي ذر ﵁ أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر؛ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرًا**»(١).

وقد قال معاذ بن جبل ﵁: «... **لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**»(٢).

وهكذا حتىٰ تتسع دائرة العبادة وتمتد بقدر امتداد النية فتشمل حياة المسلم كلها في يقظته ومنامه، وفي صمته وكلامه، وفي سعيه لمعاشه ومعاده، فما دام العمل موافقا للشريعة، مقارنًا للنية الصالحة، فصاحبه يتقلب بين الفضائل والحسنات، فالحمد لله باري البريات(٣).

□ الافتِقار إلىٰ الله لُبّ العُبوديَّة:

والمُتأمِّلُ في جميعِ أنواعِ العبادة يجدُ أنَّ الخُضوعَ والافتِقارَ إلىٰ اللهِ فيها هو لُبُّهَا

---

(١) «مسلم» (٧/ ٩٢-٩٣نووي) رقم (٢٣٢٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٤٩).

(٣) انظر «المفيد في مهمات التوحيد» (ص١٢٨-١٣١).

وأساسُها، فبقدْرِ افتِقارِ العبد فيها إلىٰ الله يكون أثرُها في قلبِه، ونفعُها لهُ في الدُّنيا والآخِرَة، كما أنَّهُ علىٰ قَدْرِ افتِقارِه وذُلِّه وانْكِسارِه بين يدَي المَلِك -سُبحانه- يَكُون عِزُّه وشرفُه في الدُّنيا والآخِرَة.

وقد كانَ مِن دُعاءِ النبيِّ ﷺ في رُكُوعِه: «**اللهُمَّ لَكَ رَكَعتُ، وبِكَ آمنتُ، ولَكَ أَسلمتُ، خَشَعَ لَكَ بَصَرِي، ومُخِّي، وعظمِي، وعَصَبِي**»[1].



(١) «المِشكاة» (١/ ٢٥٦)، رقم (٨١٣).

الشرك الأكبر والأصغر : حقيقتهما - ومعناهما

إن أحسن وأوضح تعريف للحقائق الشرعية هو ما كان من قول صاحب الشريعة، وقد سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله ؟ فقال : «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك**»(١).

والنِّدُّ؛ هو: العِدلُ والمِثلُ، وهو الذي ينازع غيره فيما كان من خصائصه.

** **فالشرك الأكبر** : هو أن يجعل الإنسان نـدًّا لله في أسمائه وصفاته، أو ربوبيته، أو ألوهيته.

والشركُ في الأسماء والصفات؛ هو: أن يجعل الإنسان نِدًّا لله في أسمائه أو صفاته، فيسميه بأسماء الله، أو يصفه بصفاته.

قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

** **والشرك في الربوبية**؛ كمن يعتقد بالأقطاب والأولياء، وأن منهم من يتصرف في الكون، كاعتقاد الرافضة، وغلاة الصوفية، أو كمن يعتقد أن من الخلق من له الحق في التشريع مع الله -جلَّ وعلا-.

** **والشرك في الألوهية**: أن يجعل العبد لله نِدًّا في العبادة كأن يضرع لغير الله من شمس أو قمر، أو نبي أو ملك، أو أن يستغيث بالأولياء والصالحين والأموات، ويعتقد فيهم أو يتوكل عليهم، كاعتقاد بعض الناس بعلي أو الحسين، أو بالجيلاني

---

(١) «البخاري» (٨/ ٢٠٥- فتح) رقم (٤٤٧٧)، و«مسلم» (٢/ ٢٦٧ - نووي) رقم (٢٥٤).

والبدوي.

والوصف الجامع للشرك الأكبر هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: «فمن عَدَلَ بالله غيره في شيء من خصائصه -سبحانه وتعالىٰ- فهو مشرك»[(١)].

ويقول الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئًا يختص به -سبحانه-»[(٢)].اهـ.

ويقول العلامة السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «حقيقة الشرك بالله أن يُعبدَ المخلوقُ كما يُعبدُ الله، أو يُعَظَّمَ المخلوقُ كما يُعَظَّم الله، أو يُصْرَف له نوعٌ من خصائص الربوبية والإلهية»[(٣)].اهـ.

** **والشرك الأصغر؛** هو: كل ما نهىٰ عنه الشرع وسماه شركا، ولم يصل لحد الشرك الأكبر.

أو: هو: ما كان ذريعة ووسيلة الىٰ الشرك الأكبر.

وهو نوعان :

** **ظاهر** : كالحلف بغير الله، ففي «المسند» من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٤)].

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٣/ ١٩).

(٢) «الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد» (ص٧٠).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٣٦٧).

(٤) رواه الترمذي (٤/ ٩٣) رقم (١٥٣٥)، وابن حبان (٣/ ٣٠٠) رقم (٢٤٤٥- التقاسيم والأنواع)، والطيالسي (٣/ ٤١٢) رقم (٢٠٠٨)، وأحمد (٢/ ٣٤)، وانظر «الإرواء»
=

ومنه ما يجري علىٰ ألسنة كثير من الناس من قولهم : ما شاء الله وشئت،أو لولا الله وفلان.

وقد أرشد النبي ﷺ من قال مثل ذلك أن يقول: «**ما شاء الله وحده**» (١). أو: «**ما شاء الله ثم شئت**»(٢).

** **خفي** : ومنه: يسير الرياء، كمن يطيل في الصلاة ليراه الناس، وقد خافه النبي ﷺ علىٰ أمته فمن حديث أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**»، قلنا: بلىٰ، فقال: «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**»(٣) .

❐ حكم الشرك الأصغر:

** الشرك الأصغر أعظم من أكبر الكبائر.

** الشرك الأصغر لا ينقض التوحيد إنما يتنافىٰ مع كماله الواجب.

** الشرك الأصغر لا يحبط جميع العمل إنما يحبط العمل المصاحب والمسترسل فيه.

=

(٨/ ١٨٩)، و«الصحيحة» برقم (٢٠٤٢).

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٢١٤) وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٩).

(٢) رواه ابن ماجة (٢/ ٢٠٠- الصحيح)، وهو في «الصحيحة» برقم (١٠٩٣).

(٣) رواه ابن ماجة (٣/ ٣٧١ - الصحيح)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٢٧).

** الشرك الأصغر لا يغفره الله إلا بالتوبة- في أرجح قولي العلماء-[١].

والحاصل أن حقيقة الشرك ظاهرة بينة في الكتاب والسنة، ومدارها على مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائصه -سبحانه-، سواء كانت تلك المساواة في الربوبية أو الألوهية أو في الأسماء والصفات[٢].

□ أهلُ الكلام، وتفسيرُ الشِّرك:

وأما المخالفون لأهل السنة فيقولون: الشرك أن يعتقد الإنسان بألوهية غير الله، أو أن هناك مؤثِّرًا مدبِّرًا متصرِّفًا سوى الله، فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله، أو استحقاق التاثير لغير الله،أما مجرد الدعاء والاستغاثة وطلب الحوائج من معبوداتهم فليست هي- عندهم- من الشرك أو موجباته في شيء[٣].

يقول الشيخ عبد اللطيف بن حسن آل الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

«**والشرك**: جعل شريك لله -تعالى- فيما يستحقه، ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة كالحب، والخضوع، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والنسك، والطاعة، ونحو ذلك من العبادات. فمتى أشرك مع الله غيره في شيء من ذلك فهو مشرك بربه، قد عدل به سواه، وجعل له ندًّا من خلقه. ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شَرِكَةً في الربوبية، أو استقلالاً منها.

(١) انظر «المفيد في مهمات التوحيد» (ص ١٧٩)، و«الشرك الأصغر والخفي» (ص٢٢-٢٨) تأليف مسند القحطاني.

(٢) «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة» (١/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٣) «الدرر السنية» (ص ٣١-٣١) لأحمد زيني دحلان.

والعجب كل العجب أن مثل هؤلاء يقرؤون كتاب الله، ويتعبدون بتلاوته، وربما عرفوا شيئًا من قواعد العربية، وهو في هذا الباب من أضل خلق الله، وأبعدهم عن فهم وحيه وتنزيله[١].

❑ إهمال الكلام في التوحيد ومسائله، والشرك ووسائله: دليل نقصٍ وخلل:

إنَّ إهمالَ الكلام في مسائل التوحيد، والتقصيرَ في التحذير من صور الشرك ووسائله، مع العناية الشديدة في بيان الفروع الفقهية التي قد لا توجد عادة، أو يندر وقوعها لهو دليل خلل، وهو مما لا يقبله أرباب التوحيد ودعاته، فالناس اليوم قد توارثوا العقيدة وراثة عن آبائهم وأجدادهم فهم لم يُحكموها دراسة واعتقادًا وحالًا، مما يستوجب علىٰ الدعاة والمصلحين أن يبينوا التوحيد بدلائله ومسائله، وأن يُحذِّرُوا الناسَ من الشرك بصوره ووسائله.

وقد تعجب العلامة مبارك الميلي -رَحِمَهُ اللهُ- من تقصير كثيرٍ مِن العلماء في التحذير من الشرك مع العناية الشديدة بالفروع الفقهية، فها هو - رَحِمَهُ اللهُ- يبث عجبه وشكواه- فيقول : «.. وستعجب معي من قلة اهتمام أكثر علمائنا بذلك،كأنْ لا حاجة بالمسلمين إليه؛ تجد في كلامهم علىٰ الفروع عناية بتفصيل أحكام مسائل نادرة،أو لا توجد عادة، ولا تجدهم يعنون تلك العناية بالأصول، فيُحَدِّدون الشرك، ويُفَصِّلون أنواعه،ويُعَدِّدون مظاهره حتىٰ يرسخَ في نفوس العامة الحذرُ منه، والابتعادُ من وسائله، ولا يفقد المتأخر نص من قبله في جزئية من

---

(١) «تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس» (ص٦٤).

ذلك». اهـ[1].

فمعرفة الشرك ووسائله هو من ضرورات كلمة التوحيد حيث إنها متضمنة البراءة مِن الشِّرك، فالوقوع في شيء من الشرك يُنقصُ التوحيد أو يبطله، لذا وجب الحذر.

ولمَّا خَفِيَ معنىٰ الشرك علىٰ كثير من الناس صاروا يُقَرِّرون الشرك، وينقضون التوحيد، ويُنَفِّرون عنه، ومن هنا تظهر أهمية الكلام فيه.

وفي هذا الشأن يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وهذا؛ لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقرَّه، ودعا إليه وصَوَّبَهُ وحَسَّنَهُ، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شرٌّ منه، أو دونَه، فينقُضُ بذلك عُرىٰ الإسلام عن قلبه، ويعود المعروفُ مُنكَرًا، والمُنْكَرُ معروفًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبَدَّعُ بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرىٰ ذلك عيانًا، والله المستعان». اهـ[2].

ومن جميل ما حكاه الشيخ مبارك الميلي -أيضًا- وهو يصف واقع الشرك بين الناس، مُبيِّنًا خطورة إهمال الكلام فيه، وفي دقائقه-: قوله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «نَتَجَ عن قلة الخوض في هذا الموضوع أن صار الشرك اخفىٰ المعاصي معنىٰ،وإن كان أجلاها حكمًا،فلظهور حكمه وكونه من الضروريات ترىٰ المسلمين عامتهم يتبرؤون منه

---

(١) رسالة «الشرك ومظاهره» (ص ٤٦-٤٧).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٣-٣٤٤).

ويغضبون كل الغضب إن نُسبوا إليه،ولخفاء معناه وقع من وقع منهم فيه وهم لا يشعرون،ثم وجدوا من أدعياء العلم من يسمي لهم عقائد الشرك وأعماله وأسمائه بأسماء تدخل في عقائد الإسلام وأعماله،ثم يدافع عنهم ويحشرهم في زمرة أهل السنة حتىٰ ليخيل إليك أن العامي الواقع في حَمَأَةِ الشرك جهلًا واغترارًا أقربُ إلىٰ السنة والاستقامة من أولئك العلماء النصحاء المُؤْتَسين برسول الله ﷺ عن خبرة وصدق»[1].

◻ الآثار السلوكية لتوحيد العبادة[2]:

سبق أن توحيد العبادة هو أول واجب علىٰ العباد، وهو مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله ،وشرع الجهاد لإقامته، وجعل الثواب لمن حققه، والعقاب لمن تركه.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «التوحيد ألطف شيء، وأنزهه، وأنظفه، وأصفاه، فأدنىٰ شيء يخدشه، ويُدنِّسه، ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون، يؤثر فيه أدنىٰ أثر، وكالمرآة الصافية -جدًّا- أدنىٰ شيء يؤثر فيها، ولهذا تشوشه اللحظة، واللفظة، والشهوة الخفية، فإنْ بادر صاحبه، وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم، وصار طبعًا يتعسَّر عليه قَلعُه»[3].

---

(١) «الشرك ومظاهره» (ص٤٧).

(٢) هذا الباب مستفاد من رسالة «العبودية قواعد ومسائل ومباحث» لعبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف، مع اختصار وتهذيب.

(٣) «الفوائد» (ص ٢١٩).

ويُقرِّر ابن القيّم -أيضًا-: أن من قوي توحيده فحقق معنىٰ لا إله إلا الله؛ فإنه يخلص من الشهوات والشبهات، فالعبد الموحد لا يصر علىٰ الصغائر ولا يداوم علىٰ الكبائر، وفي هذا يقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «كلما عظم نور هذه الكلمة- لا إله إلا الله - وأشتدّ أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتىٰ أنه ربما وصل إلىٰ حال لا يصادف معه شبة ولا شهوة ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئًا، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حُرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا علىٰ غرَّة وغفلة لابد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرق منه استنقذه من سارقه، أو حصَّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولَّىٰ الباب ظهره»[١].

❑ **ومن الآثار السلوكية لتوحيد العبادة :**

❋ **الحفظ من الوقوع في الشهوات والمحرمات:**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «ولهذا لما كان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ محبًا لله -تعالىٰ- مخلصًا له الدين لم يُبْتَلَ بذلك ، بل قال -تعالىٰ-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ [يوسف:٢٤]. وأما امرأة العزيز فكانت مُشركةً هي وقومَها، فلهذا ابتليت بالعشق، وما يبتلىٰ بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه، وإلا فالقلب المنيب إلىٰ الله -تعالىٰ- يصرف عن العشق»[٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٠).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٣٥).

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصًا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه، من أنواع السوء والفحشاء، وأسباب المعاصي، ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه، لقوله -تعالىٰ-: ﴿...وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] علىٰ قراءة من قرأها بكسر اللام[١]. ومن قرأها بالفتح؛ فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمّن لإخلاصه هو بنفسه، فلمَّا أَخْلَصَ عملَه لله، أَخلصَهُ اللهُ، وخَلَّصَهُ مِن السُّوء والفحشاء»[٢].

ولما سئل الجنيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : بم يستعان علىٰ غض البصر؟ فقال: «بعلمك أن نظر الله إليك أسبقُ من نظرك إليه»[٣].

* **سلامة الصدر من الغل والحسد وجميع أمراض القلوب**؛ كما في حديث ابن مسعود: عن النبي ﷺ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امرءً سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلَّغها؛ فرُبَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه: ثلاثٌ لا يُغِلُّ، عليهن قلب مسلم: إخلاص العلم لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ الدعوة تحيط مِنْ ورائهم**»[٤].

---

(١) وهي قراءة متواترة مشهورة. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٨)، و«البدور الزاهرة» (٢/ ١٣٣) لسراج الدين النشّار.

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٦٠).

(٣) انظر: «كلمة الإخلاص» للحافظ ابن رجب (٣/ ٧١) ضمن مجموع رسائله.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٣)، والترمذي (٥/ ٣٤) رقم (٢٦٥٨)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١/ ٧٨) برقم (٢٢٨)، ومعنىٰ الحديث؛ أي: لا يدخل =

* **الشجاعة وقوة القلب**: فكلما زاد التوحيد في نفس العبد، كلما زاد العبد قوة وإقدامًا، ولما كان الخليلان - نبينا محمد ﷺ، وإبراهيم عليه السلام - أعظمَ الناس توحيدًا، كانا في غاية الشجاعة والإقدام.

فمن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع الناس ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلىٰ الصوت، وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، في عنقه السيف، وهو يقول: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**»(١).

وفي المقابل فإن الشرك سبب الرعب والخوف كما قال -عز وجل-: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران: ١٥١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وكذلك المشرك يخاف المخلوقين،

=

القلب مع تلك الأعمال القلبية الإيمانية حقد يصرفه عن الحق، وأن تلك الثلاث تُستَصْلَح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والحقد والشر، ومعنىٰ (تحيط من ورائهم)؛ أي: تحيط بهم من جميع جوانبهم. وانظر «النهاية» (٣/ ٣٤٢) لابن الأثير مادة (غلل)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم (١/ ١٩٩-٢٠٠).

وقد ضُبِطَ الحديثُ بلَفظَيْن: **يُغِلُّ**: من (الإغلال)؛ وهو: الخِيانةُ. و: **يَغِلُّ**؛ وهو: الحقد والشحناء.

(١) رواه مسلم (١٥/ ٦٦-٦٧- نووي) برقم (٥٩٦١)، ومعنىٰ (لم تراعوا)؛ أي: لا تخافوا، وانظر «التوضيح» (١٧/ ٦٢٩) لابن الملقن.

ويرجوهم فيحصل له الرعب ، كما قال -تعالىٰ -: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال -تعالىٰ-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]، وقد فسر النبي ﷺ هنا الظلم بالشرك[(١)].

ثم إن الاستغناء عن الناس من أعظم آثار توحيد العبادة، فمن توجه إلىٰ الله -تعالىٰ- بصدق الافتقار إليه، وتمام التعلق به، بحيث لم يتعلق قلبه بغير الله -تعالىٰ-، ولم يسأل سواه، ولم يتوكل علىٰ غيره، في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره فهو من أهل التوحيد الكُمّل.

فكمال المخلوق في كمال عبوديته لله واستغنائه عن المخلوقين، وكلما احتاج العبد إلىٰ الخلق وتذلل لهم كلما نقص قدره عندهم بقدر حاجته إليهم .

وقد روىٰ أبو داود في «سننه» من حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : «**من يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفل له بالجنة**»[(٢)].

فالعبودية هي التي جعلت أم نبي الله موسىٰ عليه السلام ترمي ولدها في اليم لما خافت عليه من فرعون وملأه، ثقة بالله، وإيمانًا به.

والعبودية هي التي جعلت إبراهيم عليه السلام يضع هاجر وولده إسماعيل في واد

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٥٧).

(٢) رواه أبو داود في «السنن» (٥/ ٣٩-عون) رقم (١٦٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١٢) والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١١٦) رقم (٣٢٤٥)، وقال العلامة الألباني في «المشكاة» (١/ ٥٨١): إسناده صحيح.

غير ذي زرع ثقة بالله وإيمانًا به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقار إليه وخضوعًا له، كان أقربَ إليه، وأعزّ عنده، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلىٰ من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلىٰ من شئت تكن أميره.

فأعظم ما يكون العبد قدرًا وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتىٰ احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدينُ كلُّه لله، ولا يُشرَكُ به شيئًا.

فالربُّ -سبحانه- أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه وأفقر ما تكون إليه، والخلق أهون من يكون عليهم أحوج من يكون إليهم»[١].

◻ الآثار السلوكية لتوحيد الأسماء والصفات[٢]:

فمن عرف ربه بكماله وجلاله وجماله وأفعاله فإنه سيحبه ولا بد.

وفي هذا يقول ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «فإنّ من عرف الله أحبّهُ لا محالة، ومن عرف الدُّنيا أبغضها لا محالة»[٣].

---

(١) «الفتاوىٰ» (١/ ٣٩-٤٠) بتصرف يسير.

(٢) انظر رسالة «أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد» للأخ الشيخ الدكتور أحمد صادق النجار- حفظه الله- فمنها استفدت في هذا الباب، فجزاه الله خيرًا.

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٧).

لذلك؛ فإن من أعظم آثار معرفة الله بأسماءه وصفاته :

**** محبة الله -تعالىٰ- والتعلق به -سبحانه-**: فمن عَرَفَ أنّ رحمة الله وسعت كل شيء فسيحب ربه، وسيتعبد لله بمقتضىٰ هذه الرحمة.

فمن حديث أبي هريرة قال: قال رسُولُ اللّه ﷺ: «**إنّ لله مئة رحمةٍ أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ فبها يتعاطفُون وبها يتراحمُون وبها تعطُفُ الوحشُ علىٰ ولدها وأخّر اللهُ تسعًا وتسعين رحمةً يرحمُ بها عبادهُ يوم القيامة**»[1].

وإثبات صفة الرحمة إنما يكون علىٰ ظاهرها بحسب مقتضىٰ لغة العرب التي نزل بها القرآن، فهي معلومة المعنىٰ مجهولة الكيف، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها، علىٰ هذا أجمعَ السَّلَفُ الصالح.

وفي «مسند الطيالسي» من حديث أبي رزين قال قال رسول الله ﷺ: «**ضَحِكَ ربُّنا -عزَّ وجلَّ- من قُنوطِ عباده، وقُرْبِ غِيَرِه**»، فقال أبو رزين: أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ -عز وجل-؟ قال: «**نعم**». فقال: لَن نَعْدِمَ مِن رَبٍّ يَضحكُ خَيرًا[2].

ومن صفاته -سبحانه-أنه حليم كما قال-تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٥، المائدة: ١٠١].

ومن حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند الكرب ويقول: «**لا إله**

---

(١) رَواهُ البُخاري (١٠/ ٥٣٠ - فتح) رقم (٦٠٠٠)، ومُسلم (١٧/ ٧١ - نووي) رقم (٦٩٠٦).

(٢) «مسند الطيالسي» برقم (١١٨٨)، وهو في «الصحيحة» برقم (٢٨١٠) .

إلا اللهُ العظيمُ الحليم، لا إلهَ إلا اللهُ رَبُّ العرش العظيم، لا إلهَ إلّا اللهُ رَبُّ السّماواتِ ورَبُّ الأرضِ ورَبُّ العرشِ العظيم»[(١)].

وحلم الله وسع كل شيء، فالله -سبحانه- يحلم علىٰ عباده، ولو شاء لعاجلهم علىٰ ذنوبهم، فلم يطب لهم عيش أبدًا، ولكن الله غشّاهم بحلمه، وسَخَّرَ لهُم مَن يحفظهم بالليل والنهار، يبارزونه بالمعاصي، وهو مع ذلك يحرسهم بعينه التي لا تنام.

ومِن حِلْمِهِ -سبحانه- أنه يصبر علىٰ خلقه، فإنهم ينسبون له الولد، ويعبدون غيرَه بالدُّعاءِ والنَّذْرِ والذَّبح، بل ويسبونه -سُبحانه- بأقبح الألفاظ والعبارات، ومع ذلك فإنه يرزقهم ويعافيهم، ولو أخذ الله الناس بظلمهم ما ترك علىٰ ظهرها من دابة.

**** الخوف من الله -تعالىٰ-:**

فإذا عرف العبد أن من أسماء الله: (القوي، المتين، الجبار، القهار،...) ولَّد ذلك في قلبه الخوف من الله، والخشية من عذابه.

كما أن العبد إذا عرف أن رَبَّهُ مُتَّصِفٌ بصفة الغضب؛ فسيُوَلِّدُ هذا في قلبه الخوف من أليمِ عِقابه، وشديدِ عذابه.

فقد روىٰ البخاري حديث الشفاعة وفيه قوله ﷺ: «... **إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله**»[(٢)].

---

(١) البُخارِي (١١/ ١٧٤-فتح) رقم (٦٣٤٥)، ومُسلم (١٧/ ٤٩ - نووي) رقم (٦٨٥٨).

(٢) البخاري (٦/ ٤٤٨ - فتح) رقم (٣٣٤).

فالإيمان بهذه الصفة الجليلة يثمر الخوف والخشية، وهذا يحمل العبد على ترك ما يغضبه، ولو أن كل مسلم استشعر هذه الصفة لاستقام دينه ولحسنت معاملته.

**** تعظيمه -سبحانه-، والتذلل بين يديه:**

ومن عظمة الله -سبحانه- أنَّ الأرض ﴿جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزُّمَر:٦٧]، وأنه: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[النساء:١٢٦، فُصِّلَت:٥٤].

ومن عظمته -سبحانه- أنه لا يشق عليه حفظ السماوات والأرض، ولكمال عظمته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥].

ومن عظمته -سبحانه- أنه لا تَنْفَدُ كَلِمَاتُهُ، ولو أنَّ البحرَ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سبعة أبحر مدادًا، وأشجار الأرض أقلامًا، فكُتِبَ بذلك المداد وبتلك الأقلام لَنَفِدَ المداد، وفَنِيَت الأقلام، ولمْ تَنْفَدْ كلماته[1].

فإذا آمن العبد وأيقن بأن الله متصف بصفة العظمة فسيولد هذا في القلب تعظيم الحق -سبحانه-، وتعظيم أوامره ونواهيه.



(١) «طريق الهجرتَين وباب السَّعادتَين» (ص١٦٨).

المؤلفات في علم العقيدة[1]

وهي - بالجملة - ثلاثة أقسام :

□ مؤلفات شاملة لعامة مسائل العقيدة:

منها - مثلًا - كتاب «الشريعة» للآجُرِّي، وكتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفِرَق المذمومة» لابن بطة، وكتاب «التوحيد» لابن مندة.

□ مؤلفات في باب مُعيَّن من أبواب العقائد:

ككتاب «العلو» للذهبي، وكتاب «الإيمان» لابن مندة.

□ مؤلفات في الرد علىٰ أهل البدع:

ككتاب «الرد علىٰ الجهمية» لابن مندة، وكـ«الرد علىٰ الجهمية للإمام أحمد».

وهذه الأنواع الثلاثة منها ما يكون علىٰ طريقة العرض وتقوم علىٰ جمع الآثار عن السلف وتبويبها وترتيبها، والرد بها علىٰ المخالف ،وهذه الطريقة تغلب علىٰ المتقدمين.

ومنها ما يكون علىٰ طريقة الرد، وتقوم علىٰ عرضُ الشبهة ثم الجوابُ عنها بالمعقول والمنقول، وهذه الطريقة تغلب علىٰ المتأخرين وذلك بسبب انتشار البدع، وتنوعها.

---

(١) انظُر كتاب: «تدوين علم العقيدة عند أهل السُّنَّة والجماعة» للدكتور يوسف الطريِّف.

□ تاريخ العقيدة- الخط التاريخي لظهور البدع-[١]:

- (٣٧ للهجرة).

مكث القران ثلاثًا وعشرين عامًا يتنزل علىٰ قلب رسول الله ﷺ، والرسول يبلغه للناس حتىٰ كَمُلَ الدين، وتمَّت النعمة، ثم اختار الله نبيَّه ﷺ إلىٰ جواره.

وكان الصحابة يسمعون القرآن ويفهمون معانيه ويعملون بمقتضاه، وقد كان فيما نزل من القرآن الإخبار عن الغيبيات كالإخبار عن الله وعن أسمائه وصفاته واليوم الآخر والجنة والنار .

والذي يجب القطع به أن الصحابة كانوا يفهمون ما يُخاطَبُون به من تلك الأمور الغيبية، وإن كانوا لا يعرفون كنهها وحقائقها إلا أنهم كانوا يفهمون معاني ما يخاطبون به مما جاء في التنزيل، وإلا لسألوا واستفسروا، إذ الأمر متعلقٌ بأعظم الأصول الدينية وهي العقيدة.

نعم؛ قد سأل الصحابةُ النبيَ ﷺ عن بعض الأشياء ولكن هذه الأشياء متعلقة بالعمليَّات وليس بالعِلْمِيَّات،أي : بالشرائع لا بالعقائد.

وقد روىٰ الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتىٰ قُبض، كلهن في القرآن، منهن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[البقرة:٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢]، وشبهه، ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم»[٢].

---

(١) انظر مقدمة «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧-٣٦).

(٢) (ص٣١) برقم (١٢٧)، ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ١٢٩).

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا علىٰ عقيدة واحدة حيث أدركوا زمان الوحي وشرفوا بالصحبة فلم يكن ثمة مجال لشبهة أو هوىٰ تلعب بقلوبهم أو عقولهم رضي الله عنهم.

وقد روىٰ ابن ماجة وغيره بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «**بهذا أُمِرْتُم أو لِهَذَا خُلِقتُم؟ تَضرِبُون القرآن بعضَهُ ببعضٍ، بهذا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُم**»، قال: فقال عبدُ الله بنُ عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه[1].

ففي هذا الحديث ما يدل أنه جرىٰ خوض من بعض الصحابة في بعض قضايا الاعتقاد لكنَّه خوضٌ عارض سرعان ما زال وانتهىٰ ، ولمْ يُنقلْ عن واحد منهم رضي الله عنهم إحياء تلك المنازعات، بل الذي صح عنهم أنهم ردوا علىٰ القدرية عندما ظهرت بدعتهم فيما بعد بل وتبرؤوا منهم .

وكذلك وقع في عهد عمر رضي الله عنه بعض الوقائع المفردة والتي سرعان ما اختفت واندثرت،ومن ذلك قصة صبيغ الذي كان يسأل عن متشابه القرآن.

فقد روىٰ اللالكائي بسنده الىٰ سليمان بن يسار: «أن رجلًا من بني غنيم يقال له صبيغ بن عِسْل قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأله عن متشابه القرآن

(١) رواه ابن ماجة (١/ ٤٦ - الصحيح) رقم (٦٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٨)، وأبن أبي عاصم في «كتاب السنة» (ص١٦٣-١٦٤)، وقال العلامة الألباني : إسناده حسن؛ للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعدَّ له عراجين النخيل فلما دخل عليه جلس قال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر وأومأ عليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتىٰ شَجَّهُ وجعل الدم يسيل عن وجهه، فقال: حَسْبُكَ يا أميرَ المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي»[(١)].

- من (٣٧- ١٠٠هـ):

وهذه الفترة هي فترة منتصف خلافة علي ﵁، وفيها أَطَلَّتِ البِدعُ برأسها فظهرت بدعة الخوارج[(٢)] والشيعة[(٣)]، فالأولىٰ تكفره، والثانية تنصره، بل وتألهه.

---

(١) اللالكائي (٤/ ٣٦٧) رقم (١١٣٨).

(٢) ظهر الخوارج في عهد علي عام (٣٧هـ)، وكان أول ظهور لهم لما اعترضوا علىٰ قبول علي للتحكيم، وزعموا أنه حَكَّمَ الرجال في دين الله بَيْنَهُ وبَيْنَ جيش معاوية حينما رفع جيش معاوية المصاحف، ولمَّا ذَكَّرَهُم بإكراههم له علىٰ قبول التحكيم قالوا:كان ذلك منا كفرًا وقد تبنا منه فتب أنت منه نبايعك.

(٣) التشيُّع لعلي كان في أول أمره مُعتدلًا حيث حصل خلاف في القرن الأول، هل علي أفضل أم عثمان؟ مع إقرار الجميع أن عثمان أولىٰ بالخلافة من علي، فكان من أهل الكوفة من يُفضِّل عليًّا، وغيرهم- وهم الجمهور والأغلب- يفضلون عثمان، وهذا ما استقر عليه اعتقاد أهل السنة بعد ذلك من غير نزاع خلافًا للشيعة الروافض . انظر «شرح لمعة الاعتقاد» لصالح آل الشيخ (ص١٤٣). ثم بظهور ابن سبأ- ابن السوداء- وما ادعاه من أن علي هو الوصي بعد النبي ﷺ بل هو إله بدأ التشيع يأخذ منحىٰ آخر حتىٰ استقر علىٰ ما هو عليه الآن من كفر ونفاق وزندقة .

ثم بعد ذلك ظهرت بدعة القدرية[١] والمرجئة[٢] .

- من (١٠٠- ١٥٠هـ):

في هذه الفترة ظهرت بدعة المعتزلة[٣] علىٰ يد واصل بن عطاء الذي أظهر القول بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، كما وأظهر القول أن أحد الفريقين المتحاربين من الصحابة فاسق من غير تحديد، لذلك طعن في عدالتهم ولم يقبل شهادة أحد منهم .

وفي هذه الفترة من القرن الثاني بدأت بدعة نفي الصفات عن الله بالظهور علىٰ يد الجعد بن درهم ،ومن مقالاته : القول بخلق القرآن،وأنه ليس فوق العرش إله، وإنكار أن يكون الله قد كلم موسىٰ تكليمًا، أو أنه اتخذ إبراهيم خليلًا.

---

(١) ظهر الكلام في القدر ، وأن الله لا يعلم بالشيء إلا بعد وقوعه،وأن العبد هو الذي أوجد فعل نفسه، بعد منتصف القرن الأول علىٰ يد رجل كان قد أظهر الإسلام ثم تنصر اسمه سوسن وقيل :سنسويه وقيل :سنهويه ،وقد أخذ بدعته وأشهرها معبد الجهني وعنه غيلان الدمشقي. انظُر: «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٤/ ٧٤٩) رَقم (١٣٩٦- ١٣٩٨).

(٢) **والإرجاء**؛ هو: تأخير العمل عن الإيمان، وأنه لا يضر من الإيمان ذنب، وأقدم من نُسب إليه القول بالإرجاء هو غيلان الدمشقي كما في «المِلل والنِّحل» (١/ ١٦٢) للشهرستاني، وليس الحسن بن محمد بن الحنفية، الذي كان يقصد بالإرجاء إرجاء أمر المتخاصمين في الفتن التي وقعت بعد أبي بكر وعمر إلىٰ الله .

(٣) انظُر: «الفَرق بَيْن الفِرَق» (ص١١٢)، و«المِلَل والنِّحَل» (١/ ٥٦)، و«تاريخ المذاهب الإسلاميَّة» (ص١٢٤) لمحمد أبي زُهرة -رحِمَ اللهُ الجَميع-.

وعنه أخذ الجَهْمُ بنُ صفوان[١] عقيدته وزاد عليها:

* القول بأن العبد مجبور وأنه لا يوصف بالاستطاعة ولا يقدر علىٰ شيء.

* القول بأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط،وأن الكفر هو الجهل به فقط.

* قوله بفناء الجنة والنار.

* زعمه أن الله لا يعلم بالشيء إلا بعد وقوعه.

وفي مقابل هؤلاء ظهرت بدعة التشبيه والتجسيم علىٰ يد مقاتل بن سليمان[٢].

قال الإمام الذهبي - رَحِمَهُ اللهُ-: «وظهر بخراسان الجهم بن صفوان وَدَعَا الىٰ تعطيل الرب -عز وجل- وخلق القرآن، وظهر بخُرَاسَان في قبالته مقاتل بن سليمان المُفسِّر وبالَغَ في اثبات الصفات حتىٰ جَسَّم»[٣]. اهـ.

- من (١٥٠- ٢٣٤هـ):

وهنا تداخلت البدع ولم يظهر جديد بل انحصرت البدع فيما ذكرناه،إلا أن الملاحظ أن تلك البدع أخذت بالتطور حيثُ اطَّلع رؤوس المعتزلة علىٰ كتب الفلاسفة التي ترجمت في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨) من أجل الرد علىٰ أهل الأديان من اليهود والنصارىٰ والمجوس ممن لا يؤمن بالنقل، وبسبب ذلك خرجت المعتزلة بمذاهب شاذة وأقوال منحرفة.

---

(١) انظُر: «المِلَ والنِّحَل» (١/ ٩٧- وما بعدها).

(٢) قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٧٥) : وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارىٰ من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث.

(٣) في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٢٠).

واستطاع المعتزلةُ إدخالَ عقيدة الاعتزال علىٰ الخليفة المأمون حتىٰ تبناها وحمل الناس عليها بالسيف والإكراه[١]، فقَتَلَ أقوامًا، وحَبَسَ آخَرِين، حتىٰ هلك في سنة (٢١٨هـ).

ثم تَولَّىٰ المعتصم، والواثق عقيدة المأمون، وسارَا علىٰ نفس المنهج، والمعتزلة في ذلك تُؤيِّدُهم، وتشدُّ من عزائمهم.

واستمر الأمر إلىٰ أن تولىٰ المتوكل الخلافة سنة (٢٣٢هـ) فرُفِعَت الفتنة في عهده .

- من (٢٣٤- ٣٢٤هـ):

وفي هذه الفترة ظهرت بدعة الكُلَّابية[٢] ومن رحمها خرجت الأشعرية[٣] والماتريدية[٤] فيما بعد.

وأشهر مقالاتهم : نفي الصفات الاختيارية حيث يثبتونها قديمة أزلية[٥]، كما

(١) وفي هذه الفتنة ابتُلِي الإمامُ أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ-. انظُر «السِّيَر» (١١/ ٢٣٢).

(٢) نسبة الىٰ محمد بن سعيد بن كُلَّاب. انظر «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (١/ ٤٣٨) .

(٣) نِسبةً إلىٰ أَبِي الحسن الأشعري، الّذي رَجَعَ في آخِرِ عُمُرِه إلىٰ مُعتقَدِ أهلِ السُّنَّة، وقد حاولَ الأشاعِرَة التوسُّط بين منهج أهل الحديث، ومنهج المعتزلة، فجاؤوا بمزيجٍ ليس هو منهجَ السَّلَف، ولا هو منهج الاعتزال، وإن كانوا إلىٰ الثاني أقرب.
وانظُر: كتاب «الإمام الأشعري: حياته وأطواره العقديّة» (ص٢١٩-٢٤٠) للدكتور صالح العُصيمي، وكتاب «صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري» للدكتور محمد دسوقي.

(٤) نسبة إلىٰ أبي منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) الذي عاصر الأشعري وتأثر بمذهب ابن كلاب وشارك الأشعرية في كثير من عقائدهم.

(٥) حيث لا يفرق ابن كُلَّاب بين صفات الذات وصفات الفعل فكلها عنده لا تتعلق بها مشيئة
=

أنهم يقولون بالكلام النفسي.

كما وظهرت بدعة الكرامية[1].

ولقائل أن يقول : لماذا الرد علىٰ هذه المذاهب ودراستها والاهتمام بها فهي مذاهب مندثرة عفىٰ عليها الزمان، بل الواجب هو الرد علىٰ المذاهب المعاصرة كاللِّبرالية والعلمانية والحداثية وكافة الذاهب التي تسمي نفسها بالتنويرية أو العقلانية؟

- **والجواب :**

أولًا : لا يختلف عاقلان أن إهمال الرد علىٰ المذاهب الحداثية، والأفكار العصرية المخالفة للشريعة ، أنه نقصٌ وخلل، فطالب العلم يعيش واقعه وزمانه، فهو لا يحارب ما كان مندثرًا بائدًا من الأفكار والعقائد، فلا ينبغي له أن يعيش خارج ذلك الإطار الواقعي والزماني، إلا أنه في ذات الوقت لا ينبغي له أن يُقدم علىٰ

=

ولا إرادة فغضبه ورضاه -سبحانه- كسمعه وبصره، فعند ابن كلاب لا زال الله راضيًا عمن علم أنه يموت مؤمنًا وإن عاش غالب عمره كافرًا يحارب الله ورسوله، وكذلك لا زال الله ساخطًا علىٰ من علم أنه يموت كافرًا ولو عاش دهره مؤمنا صالحًا. وهذا ما يسمىٰ بـــــ«الموافاة». انظر «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (١/ ٤٤٢) .

(١) نسبةً إلىٰ محمد بن كَرَّام السجستاني، ومِن أَشهَر مقالاته قولُه: بأن الله جِسْم لا كالأجسام، وقوله: بأنّ الإيمان قول فقط، ولا مُتعلَّق للقلب به، وهذا قولٌ لمْ يَسبقْ ابنَ كرامٍ أحدٌ إليه كما قال شيخ الإسلام، فابن كرام يجعل المنافق مؤمنًا في الدنيا دون الآخرة، فهو يقول بخلوده في النار في الآخرة، فخالف الجماعة في الاسم دون الحُكْم. وانظر «الفتاوىٰ» (٣/ ١٠٣) .

الرد علىٰ الخصوم العصريين دون أن يكون شَبعانَ رَيَّان مِن الأُصول العلميَّة والدلائل اليقينيَّة، القائمة علىٰ الكتاب والسنة، وما عليه السلف الأول، هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ فإننا لا نسلم بأن تلك المذاهب البدعية قد مضت واندثرت فهي لم تندثر في واقع الأمر، وكل متابع أو مطلع علىٰ ما يُطرح في الجامعات والفضائيات من عقائد تخالف عقيدة أهل السنة يجزم ويعلم علم اليقين أن هذه المذاهب لم تندثر ولم تنقرض، بل إن الطرح المعاصر للعقائد المنحرفة عبر قنوات ممنهجة كالجامعات والفضائيات لهو أشد خطرًا وأعظم ضررًا من كثير من طرق الباطل وقنواته، فهو يُسعىٰ من خلاله إلىٰ إنشاء جيل يحمل تلك العقائد، ويدعو إليها .

ثُمَّ إنَّ كثيرًا من الشبه التي يرددها العقلانِيُّون هي نفسها أو قريبٌ جدًّا منها الشُّبَه القديمة التي ابتدعها أهل البدع المتقدمون، بل إن المتقدمين كانوا أثبتَ علمًا، وأرسخ قدمًا، في ضبط العلوم والشبه من المتأخرين، لكن الذي اختلف هو صياغة الشُّبهة، وطريقة عرضها.



الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع [١]

❐ أولًا : الغلو:

ويُمثِّله مذهب الخوارج[٢] والروافض[٣].

أما الخوارج فقد سبق أنهم غلوا في فهم آيات الوعيد، وتأولوا آيات الوعد والرجاء، وحملوها علىٰ غير معناها.

ولم يأت في السنة النبوية ذم وتحذير من فرقة تنتسب إلىٰ الإسلام كمثل ما جاء في ذم الخوارج ، وما ذلك إلا لضررهم العظيم وخطرهم الجسيم، والتباسِ أمرهم علىٰ الجاهلين ، إذ ظاهرهم صلاح وتقوىٰ، وباطنهم، شر وبلوىٰ.

وقد ورد في ذم الخوارج أكثرَ من عشرين حديثًا،كلها في ذمهم والتحذير من خطرهم.

منها ما رواه عبد الرزاق في «مُصنَّفِه» قال: «أخبرنا معمرٌ قال: سمعتُ أبا غالبٍ يقُولُ: لما أُتي برُؤُوس الأزارقة[٤]، فنُصبت علىٰ درج دمشق جاء أبُو أُمامة فلما

(١) انظر مقدمة «شرح أصول اتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٣٧-٤٤)، و«مصادر التلقي عند الأشاعرة» (ص١١ – ٢٧) د. زياد الحمام.

(٢) انظُر: «الفِصَل» (٣/ ٣٤) لابنِ حَزم، و«الفَرق بين الفِرق» (ص٧٨)، و«المِلَل والنِّحَل» (١/ ١٣١)، و«تاريخ المذاهب الإسلاميَّة» (ص٦٠) لمحمد أبي زهرة -رَحِمَ اللهُ الجَميع-.

(٣) انظُر: «المِلَل والنِّحَل» (١/ ١٦٩)، و«الفَرق بين الفِرق» (ص٦٠)، و«تاريخ المذاهب الإسلاميَّة» (ص٣٣).

(٤) وهي: فِرقة مِن فِرَق الخوارج تُنسَب إلىٰ نافع بن الأزرق.

رآهُم دمعت عيناهُ فقال كلابُ النار ثلاث مراتٍ هؤُلاء شرُّ قتلىٰ تحت أديم السماء وخيرُ قتيل تحت أديم السماء من قتلوه قال : فقُلتُ فما شأنُك دمعت عيناك قال: رحمةً لهُم إنهُم كانُوا من أهل الإسلام ، فقُلنا : أبرأيك قُلت هؤُلاء كلابُ النار أو شيءٌ سمعتهُ من رسُول الله ﷺ؟ قال : بل سمعتُهُ من رسُول الله ﷺ غير مرةٍ ولا ثنتين ولا ثلاثٍ، قال: فعد مرارًا»[1].

ومنها ما رواه البخاري عن يُسير بن عمرٍو، قال: قُلتُ لسهل بن حُنيفٍ، هل سمعت النّبيّ ﷺ يقُولُ: في الخوارج شيئًا؟ قال: سمعتُهُ يقُولُ -وأهوىٰ بيده قِبَلَ العراق-: «**يخرُجُ منهُ قومٌ يقرؤُون القُرآن، لا يُجاوزُ تراقيهُم، يمرُقُون من الإسلام مُرُوق السّهم من الرّميّة**»[2].

ومنها ما رواه الحاكم في مستدركه من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ..، وَهُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ، كَانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ ..**»[3].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال : أَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الجبين كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ يَا مُحَمَّد! اتَّقِ الله

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٢) رقم (١٨٦٦٣).

(٢) «البخاري» (١٢/ ٣٦٣ - فتح)، رقم (٦٩٣٤).

(٣) «المستدرك» (٢/ ١٤٧)، والحديث في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٦٨).

فَقَالَ: «**فَمن يُطِيع اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ فَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي**»، فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ من الإسلام مروق السهْم من الرَّمية يقتلُون أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأقتلنهم قتل عَاد**»[١].

❑ هل الدواعش من الخوارج:

مِمَّا يَجِبُ العلمُ به بأن الحكم علىٰ الأعيان، والفِرَق بكونها بدعية، إنما يكون بتحقُّق الأوصاف المؤثرة، واجتماع الأصول الكلية والبدعية فيها.

والمتأمل في السنة النبوية يجد أن الأوصاف التي لا جلها ذمّ النبي ﷺ الخوارج -صراحة- وحذر منهم تحذيرًا شديدًا، إنما هو بسبب غُلُوِّهم، وتكفيرهم للمسلمين بغير حق، ومن ثم قتلهم لأهل القبلة، ومفارقتهم لجماعة المسلمين وإمامهم، فهذه الأوصاف هي المؤثرة في الحُكم عليهم من جهة كونهم خوارج أو ليسوا كذلك، فهذا هو منصوص صاحب الشريعة.

ولا شك أن تلك الأوصاف متحققة -تمامًا- في خوارج اليوم، وليس من شرط الخوارج حتىٰ يكونوا خوارج تحقق المطابقة التامة بينهم وبين وخوارج الأمس، فهذا غير سديد في باب الحكم علىٰ الفرق، فلا يُعرف عن فرقة من الفرق أنها تطابقت في جميع الأوصاف مع سلفها ، ومعلمها الأول، لذلك كانت العبرة علىٰ التحقيق بالتوافق في الأصول، والكليات، والمقاصد.

ثم إنه ليس من شرط الخارجي حتىٰ يصير خارجيًّا أن يُكفِّرَ بالكبائر كالزنا

(١) «البخاري» (٦/ ٤٥٤- فتح) رقم (٣٣٤٤)، و«مسلم» (٧/ ١٦٢ - نووي) رقم (٢٤٤٩).

والسرقة، فما ذكَرَهُ كثيرٌ من أهل العلم من أن مذهب الخوارج هو تكفير مرتكب الكبيرة ليس وصفًا جامعًا لِكُلِّ الخوارج إنما الوصف الجامع هو التكفير بغير حق، أو بما ليس بمكفر،كما أن الخوارج الأوائل لم يكفروا الأئمة الأربعة، أو جميع الصحابة، فهذا لا يُعرف عنهم، فهُم إنما كفروا الحكمين ومن رضي بالتحكيم، واستحلوا دمائهم فحكم عليهم الصحابة بأنهم خوارج بناءً علىٰ ذلك.

ومما يجب العلم به أيضًا أن التكفير بترك الصلاة تكاسُلًا هو قول كثير أهل العلم، وله أدلةٌ قويةٌ تَنصُرُه وتؤيده، وهو خارجٌ -تمامًا- عن كونه مقالة خارجية، كما أن القول بعدم التكفير خارج عن كونه مقالة إرجائية.

وأما الرَّوافض فقد كان الغُلُوّ أيضًا هو السبب في ظهورهم،حيث حمل لوائهم عبد الله بن سبأ اليهودي- قبَّحه الله- فصار ينادي في أول الأمر بالوصية لعلي ورجعته، حتىٰ غلت السبئية فيه وزعمت أنه إله، وخبر إحراق علي لطائفة منهم معلوم ومشهور[1].

ثم كان قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقويا لتيار الغلو، حتَّىٰ جاء المختار بن أبي عبيد الثقفي ليستغل ذلك الحادث فتتبع القتلة فقتلهم، ومن ثم أحيا قضية الإمامة والبيعة لابن الحنفية،ولكن ابن الحنفية تبرأ منه لما رأىٰ انحرافه.

ثم استمر خط التشيع في الانحراف والغلو حتىٰ وصل إلىٰ مستوىٰ رفع الأئمة

---

(١) انظر «الشريعة» (٥/ ٢٥٢٠) رقم (٢٠١٢)، وفي إسنادها خارجة بن مصعب وهو متروك، ولكن ذكر القصة الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٣٨) من طريق عبد الله بن شريك العامري وحسن إسنادها.

إلىٰ درجات الأنبياء، بل وإلىٰ مقام الألوهية، وأدخل أربابه من البدع والخرافات والشركيات ما الله به عليم.

والحاصل أن أشد الفرق خطرًا علىٰ الإسلام والمسلمين هما الروافض والخوارج، وقد صنعت هاتان الفرقتان في أمة الإسلام ما لم يصنعه اليهود ولا النصارىٰ، وإن أعداء الدين من غير المسلمين لن يجدوا مُنفِّرين عن الدين، يُشوِّهون صورتَه السَّمحة أبرع من تلك الطائفتين، والله الموعد.

❑ ثانيًا : الرد علىٰ المخالف بغير طريقة القرآن والسنة:

ولا شك أن الرد علىٰ الخصوم بغير الطريقة التي أرشد إليها القرآن، ودلت عليها السنة، ودرج عليها الأئمة المرضيون لا شك أن لذلك آثاره وثماره السيئة ومن أبرزها التأثر بالشبه، وتشرُّبُ شيء منها.

فالمرجئة[1] ظهرت في مواجهة الخوارج الذين كفروا عليًّا والحكمين، فقالت المرجئة : لا نحكم فيهم ونرجيء أمرهم إلىٰ الله، ثم لم يلبث أن انتهىٰ الإرجاء إلىٰ القول بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة، وسبب ذلك هو رد البدعة ببدعة، والباطل بالباطل.

ثم ظهرت المعتزلة ببدعة المنزلة بين المنزلتين،وذلك كخط وسط بين الخوارج والمرجئة.

---

(١) انظُر: «تاريخ المذاهب الإسلاميَّة» (ص١١٩)، وقد نُسِب إلىٰ هذا المذهب الفاسد أئمَّةٌ ودُعاة سُنَّة مِن قِبَل بعضِ مَن قَلَّ عِلمُهُ، وضَعُفَ وَرَعُه، واللهُ الموعِدُ.

وظهرت المشبهة[١] في مواجهة المعطلة الجهمية، حيث كان الجهم يقرر نفي صفات الباري ،فقام مقاتل بن سليمان بالرد عليه حتىٰ انتهىٰ به ذلك إلىٰ تشبيه الله -تعالىٰ- بخلقه.

وكذلك الجهمية، حيث ردت علىٰ بدعة القدرية - نفاة القدر- ببدعة أخرىٰ وهي (الجبر).

❑ **ثالثًا: التأثر بأرباب الديانات الأخرىٰ:**

فالروافض بذرة يهودية زرعها بين المسلمين ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي.

يقول عبد القاهر البغدادي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «وقال المحققون من أهل السنة أن ابن السوداء كان علىٰ هوىٰ دين اليهود، وأراد أن يفسد علىٰ المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فانتسب الىٰ الرافضة السبئية حِين وَجَدَهُم أعرق أهل الأهواء فِي الْكفْر، ودَلَّس ضلالته فِي تأويلاته»[٢].

وأما القدرية، فقد ذكر اهل العلم أن أول من تكلم في القدر رجل نصراني اسمه (سوسن)[٣].

---

(١) انظُر: «المِلَل والنِّحَل» (١/ ١١٨)، و«تاريخ الفِرَق الإسلاميَّة» (ص٢٩٧) لعلي مُصطفىٰ الغُرابي.

(٢) انظُر: «الفَرق بين الفِرق» (ص ٢١٥) .

(٣) انظُر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٧٥٠) رقم (١٣٩٨)، و«الشريعة» =

وكـذلك الجهمية، حيث أخذ الجهم مقالته عن الجعد بن درهم، والجعد أخذها عن بيان بن سمعان، وبيان أخذها عن طالوت -ابن أخت لبيد بن الاعصم- الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ، ولبيد أخذها عن يهودي في اليمن.

وقد قيل بأن الجهم قد أخذ مقالته عن الصابئة والفلاسفة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ؛ فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة ، وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الإمام أحمد وغيره -[(١)].

والمقصود أن كثيرًا من عقائد الفرق المنحرفة والضالة قد تأثرت تأثرا مباشرًا بالأديان والملل الأخرىٰ.

❑ رابعًا: تحكيم العقول في القضايا الشرعية:

حيث كان من أسباب انحراف كثير مِن الفِرَق -بالإضافة إلىٰ ما سبق- تحكيمهم العقول في القضايا العقدية والشرعية، وقد سبق بيان أن وظيفة العقل في الغيبيات والشرعيات هي التلقِّي عن الله ورسوله، والتسليم لما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

=

(٢/ ٩٥٩) رقم (٥٥٥).

(١) «الفتاوىٰ» (٥/ ٢١-٢٢).

وفي هذا يقول الإمام الشاطبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «ردُّهُم(١) للأحاديث الّتي جرت غير مُوافقةٍ لأغراضهم ومذاهبهم، ويدّعُون أنّها مُخالفةٌ للمعقُول، وغيرُ جاريةٍ علىٰ مُقتضىٰ الدّليل، فيجبُ ردُّها:

كالمُنكرين لعذاب القبر، والصّراط، والميزان، ورُؤية اللّه -عزّ وجلّ- في الآخرة، وكذلك حديثُ الذُّباب وقتله، وأنّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواءً، وأنّهُ يُقدّمُ الّذي فيه الدّاءُ، وحديثُ الّذي أخذ أخاهُ بطنُهُ فأمرهُ النّبيُّ ﷺ بسقيه العسل... وما أشبه ذلك من الأحاديث الصّحيحة المنقُولة نقل العُدُول»(٢).

ويقول ابن قتيبة-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن النظّام- المعتزلي- : «وله أقاويل في أحاديث يدعي أنها مناقضة للكتاب، وأحاديث يستبشعها من جهة حجة العقل، وذكر أن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار وأحاديث ينقض بعضها بعضًا»(٣).

ولا شك أنّ تحكيم العقول في الشرعيات هو باب ضلال عريض، فليس للعقول ضوابط تضبطها، وقواعد تعصمها، فلكل أمة من الأمم عقليات تدعي أنها علىٰ الحق، وأن بها تتحقق العصمة من الزَّلَل.

وفي هذا يقول ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «إن المعقولات ليس لها ضابط ولا هي محصورة في نوع معين فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولها عقليات يختصمون إليها ويختصمون بها، فللفرس عقليات، وللهند عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين علىٰ العقليات، بل فيها من

(١) أي : أهل البدع.

(٢) «الاعتصام» (١/ ٢٩٤) ت الهلالي.

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص١١٩).

الاختلاف ما هو معروف عند المُعتَنِين» اهـ[١].

❐ خامسًا : تعريب كتب الفلسفة:

وقد ابتدأت حركة الترجمة في زمن المأمون في عهد الدولة العبَّاسيَّة، وبلغت أَوْجَها في زمن الدولة العباسية، حيث اطلع علىٰ تلك الكتب طائفة من المسلمين فانخدعوا بها وبمناهجها، ومن ثم اتخذوها ميزانًا للحقائق الشرعية، حيث حاولوا صنع موائمة ومقاربة بين الفلسفات والشرعيات، ففتحوا بذلك علىٰ المسلمين بابَ شرٍّ كبير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: «ثم إنه لما عُرِّبَت الكُتُب اليونانية في حدود المئة الثانية وقبل ذلك وبعد ذلك، وأخذها أهل الكلام، وتصرّفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم وفيها من أمور الطب والحساب مالا يضر كونه في ذلك وصار الناس فيها أشتاتًا، قومٌ يقبلونها، وقومٌ يُحلِّون ما فيها، وقومٌ يَعرِضُون ما فيها علىٰ أصولهم وقواعدهم، فيَقبَلُون ما وافق ذلك دون ما خالفه، وقومٌ يَعرِضُونها علىٰ ما جاءت به الرُّسُل من الكتاب والحكمة.

وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضمومًا إلىٰ ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة»[٢].



(١) «مختصر الصواعق» (١/ ٢٣٦).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٣٨).

أوصيك يا طالب العلم..

وأَخيرًا؛ أوصيك يا طالب العلم أشد الوصية أن تحفظ لسانك، واحذر أشد الحذر من الوقيعة في أهل العلم.

واعتبر بورع الإمام أحمد-رَحِمَهُ اللَّهُ- حين قيل له : رَجُلٌ يُحدِّثُ ويُكتَبُ عنه الحديث يقول: من شهد للعشرة بالجنة فهو مبتدع، فاستعظم ذلك الإمام وقال: «لعله جاهل لا يدري»[١].

يقول الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما في ترجمة ابنِ سَنَد: «وتغيَّرَ ذِهنُه في آخِر عمره، ونسي غالب محفوظاته حتىٰ القرآن، ويقال : **إن ذلك عُقوبةً لكثرة وقيعته في الناس**»[٢].

ويقول ابن دقيق العيد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أعراضُ المسلمين حفرةٌ مِن حُفَرِ النار، وقف علىٰ شفيرها طائفتان: المُحدِّثون والحكام»[٣]. اهـ .

ورَحِمَ اللهُ الإمامَ الذهبي حينما قال: «فرحم الله امرءًا أَقبلَ علىٰ شأنِه، وقَصَّرَ من لسانِه، وأقبل علىٰ تلاوة قرآنِه، وبكىٰ علىٰ زمانِه، وأدمن النظر في «الصحيحين»، وعَبَدَ اللهَ قَبْلَ أنْ يبغته الأجل، اللهم فوفِّقْ وارْحَمْ». اهـ[٤].

---

(١) «السنة» للخلال (١/ ٣٦٩) رقم (٥٠٦).

(٢) «الدرر الكامنة» (٥/ ٤٠).

(٣) «قاعدة في الجرح والتعديل» للتاج السبكي (ص٢٩-٣٠).

(٤) كما في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٨٦).

هذا ما جَرَىٰ بِهِ القَلَمُ، وجاد بِهِ النَّقْلُ والخاطِرُ، من المبادئ والمسائل العقديَّة والمنهجيَّة، وأسألُ اللهَ -تعالىٰ- أنْ يَنْفَعَ بهذِه الرِّسالة، وأنْ يَكتُبَ الأجرَ العظيمَ لِكُلِّ مَن كانَ سَبَبًا في طِباعتِها ونَشْرِها.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ -أجمعِين-، والحمدُ لله ربِّ العالمِين.

وكَتَبَ

الفقيرُ إلىٰ عَفوِ ربِّه

محمّد خشان

١٦ ربيع الأول ١٤٣٧هـ

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع الصفحة

الموضــــوع | الصفحة

الموضــــــوع | الصفحة

الموضـــــوع **الصفحة**

